Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 9, Issue 7 (2025) • P: 136 - 115
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Traditional Tanning Craft in Buraidah City during (1322-1402AH/1904-1982AD)

Mr. Abdulkarim Mohammad Alseadoon*[1], Co-Prof. Soliman Mohammed Al-Atni[2]

[1] Buraidah Technical College | Technical and Vocation Training Corporation (TVTC) | KSA

[2] College of Languages and Humanities | Qassim University | KSA

Received: 11/07/2025

Revised: 19/07/2025

Accepted: 29/07/2025

Published: 30/07/2025

* Corresponding author: 451114623@qu.edu.sa

Citation: Alseadoon, A. M., & Al-Atni, S. M. (2025). Traditional Tanning Craft in Buraidah City during (1322-1402AH/1904-1982AD). *Journal of Humanities & Social Sciences, 9*(7), 115 – 136. https://doi.org/10.26389/AJSRP.D120725

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study explores the traditional craft of tanning in the city of Buraidah during the 14th century AH (20th century CE), as one of the most vital handicrafts that the local community relied upon for processing animal hides into usable daily products. The research highlights the stages of tanning, starting from collecting and cleaning the hides, through treatment with natural organic materials such as Artemisia, dates, and animal oils, and ending with the softening and preparation of the leather for various industries. It also presents the tools used in this craft, the types of leather, the division of labor, and the main locations where tanning was practiced in Buraidah. The study draws upon oral interviews with craftsmen and local historians, in addition to authentic heritage sources and field documentation. Through this data, the research reveals the position of tanning within Buraidah's economic cycle and its impact on complementary industries such as leatherworking and the production of sandals and other leather goods. This study is also framed within a broader national vision that supports the documentation of traditional crafts and industries, particularly following the approval of His Royal Highness Prince Mohammed bin Salman bin Abdulaziz Al Saud — Crown Prince and Prime Minister — may God protect him — to designate 2025 as the "Year of Handicrafts." This royal endorsement reinforces the cultural urgency and academic value of such studies in preserving national memory and safeguarding Saudi Arabia's intangible cultural heritage.

Keywords: Traditional tanning craft, leather, leather goods, Buraydah, Saudi Arabia, Year of Crafts (2025).

حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة خلال (1322-1402هـ/1904-1982م)

أ. عبد الكريم بن محمد السعدون*[1]، الأستاذ المشارك / سليمان بن محمد العطني[2]

[1] الكلية التقنية ببريدة | المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني | المملكة العربية السعودية

[2] كلية اللغات والعلوم الإنسانية | جامعة القصيم | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يتناول هذا البحث حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري (القرن العشرين الميلادي)، بوصفها إحدى الحرف اليدوية الحيوية التي اعتمد عليها المجتمع المحلي في معالجة جلود الحيوانات وتحويلها إلى منتجات قابلة للاستخدام اليومي. يسلط البحث الضوء على مراحل الدباغة بدءًا من جمع الجلود وتنظيفها، مرورًا بمعالجتها باستخدام مواد عضوية طبيعية مثل الأرطى والتمر والزيوت الحيوانية، وانتهاءً بتليين الجلد وتجهيزه لمختلف الصناعات. كما يعرض البحث الأدوات المستخدمة في هذه الحرفة، وأنواع الجلود، وتقسيمات العمل، والمواقع الرئيسة التي كانت تُمارس فيها الدباغة داخل مدينة بريدة. ويستند البحث إلى مقابلات شفهية مع حرفيين ومؤرخين محليين، إلى جانب مصادر تراثية أصيلة وتوثيق ميداني. ومن خلال تحليل هذه المعطيات، يكشف البحث عن مكانة حرفة الدباغة ضمن الدورة الاقتصادية لمدينة بريدة، وأثرها في الصناعات المكمّلة مثل الخرازة وصناعة النعال وغيرها من المنتجات الجلدية. ويأتي هذا البحث أيضًا في إطار رؤية وطنية شاملة داعمة لتوثيق الحرف والصناعات التقليدية، لاسيما بعد صدور موافقة صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود – ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء – حفظه الله – على تسمية عام 2025 بعام الحرف اليدوية"، مما يعزز الأهمية الثقافية والأكاديمية لمثل هذه الدراسات في حفظ الذاكرة الوطنية وصون التراث الثقافي غير المادي في المملكة العربية.

الكلمات المفتاحية: حرفة الدباغة التقليدية، الجلود، الجلديات، بريدة، السعودية، عام الحرف (2025).

المقدمة

تعد الحرف والصناعات التقليدية أحد أبرز مكونات التراث الثقافي والاجتماعي في مدينة بريدة، حيث شكلت هذه الحرف على مر العصور تعبيرًا حيًّا عن تفاعل الإنسان مع بيئته، واستجابةً مباشرة لاحتياجاته اليومية. فقد لعبت دورًا محوريًا في تشكيل النسيج الاقتصادي والاجتماعي، خصوصًا خلال القرن الرابع عشر الهجري، حين كانت الحرف اليدوية مصدرًا رئيسًا لتلبية احتياجات المجتمع المحلي. ومن بين هذه الحرف، برزت حرفة الدباغة التقليدية بوصفها صناعة حيوية اعتمد عليها الأهالي في إنتاج الأدوات الجلدية المستخدمة في الحياة اليومية. وقد انتشرت منتجاتها في المنازل والمزارع والأسواق، فكانت جزءًا أصيلًا من المشهد العام في المدينة. أنجز الحرفيون هذه المنتجات باستخدام أدوات وتقنيات توارثوها جيلًا بعد جيل، مما يجعل هذه الحرف ليست مجرد نشاط اقتصادي، بل تراثًا حيًا يعكس عمق الهوية الثقافية والمهارة الحرفية المتجذرة في الوجدان المحلي.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وثمانية مباحث، تتناول المقدمة: هيكلة البحث، وأهمية البحث وأهداف البحث ومشكلة البحث ثم حدود البحث الزمانية والمكانية بعدها الدراسات السابقة وأخيراً منهجية البحث. المبحث الأول يأخذ القارئ بجولة تاريخية عن نشأة بريدة وجغرافية أراضيها ومناخها وأسواقها والأسعار فيها ودور تجار العقيلات خلال القرن الثالث عشر الهجري. المبحث الثاني يتطرق إلى تعريف الدباغة لغة واصطلاحا والتعريف الإجرائي والمواد الأولية والثانوية المستخدمة في حرفة الدباغة. يغطي المبحث الثالث مواقع ممارسة حرفة الدباغة، أما المبحث الرابع فقد جاء فيه تحديد الأدوات التي استخدمها الدباغون. والمبحث الخامس تحدث فيه الباحث عن الأساليب والطرق المستخدمة في الدباغة، المبحث السادس غطى منتجات حرفة الدباغة في بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري، وأخيراً المبحث السابع أدرج فيه الباحث الخاتمة وما تحويه من نتائج توصل اليها الباحث وتوصيات.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من تركيزه على حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة، بوصفها عنصرًا اقتصاديًا وثقافيًا مهمًا أسهم في تشكيل الهوية المحلية، وارتبط بنمط الحياة اليومية للسكان. وبرغم اندثار هذه الحرفة بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية، ما زالت تُعدّ أحد روافد الذاكرة الثقافية والموروث الحرفي في المنطقة. ويأتي البحث ليسد فجوة معرفية واضحة في توثيق هذه الحرفة، خاصة فيما يتعلق بأماكن ممارستها، وأدواتها، ومنتجاتها، إلى جانب ضعف التوثيق التاريخي المرتبط بها في المصادر المحلية. كما تتعزز أهمية الدراسة بتزامنها مع إعلان عام (2025) عامًا للحرف اليدوية في المملكة، ضمن جهود رؤية السعودية (2030) لإحياء التراث غير المادي وتعزيزه كمورد ثقافي واقتصادي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى توثيق حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة باعتبارها نشاطًا اقتصاديًا وتراثًا غير مادي ارتبط بالذاكرة الجماعية للمجتمع المحلي. ويسعى إلى رصد مكوناتها المادية، وتحليل تأثيرها الاجتماعي والاقتصادي، من خلال دراسة الأدوات والخامات والمنتجات ومواقع الممارسة. وتتحدد الأهداف التفصيلية فيما يلي:

- التعريف بحرفة الدباغة التقليدية ومفهومها.
- التعرف على المواد الخام المستخدمة ومصادرها.
- توثيق الأدوات والأساليب المتبعة في ممارستها.
- تحديد أماكن ممارسة الحرفة داخل مدينة بريدة.
- وصف أبرز منتجاتها خلال القرن الرابع عشر الهجري.

مشكلة البحث:

تعاني حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة من نقص في التوثيق الأكاديمي، رغم اندثارها بنهاية القرن الرابع عشر الهجري، وارتباطها بتاريخ صناعي وثقافي مهم في المنطقة. لم تتناولها الدراسات السابقة بشكل منهجي من حيث المواد، الأدوات، المواقع، والمنتجات، مما يجعل توثيقها ضرورة علمية لحفظ هذا الجانب من التراث المحلي.

أسئلة البحث:

- ما المقصود بحرفة الدباغة التقليدية؟
- أين كانت تقع معامل الدباغة في مدينة بريدة؟
- ما الأدوات والأساليب المستخدمة في هذه الحرفة؟
- ما أبرز منتجات حرفة الدباغة خلال القرن الرابع عشر الهجري؟

فرضية البحث:

يفترض الباحث أن حرفة الدباغة التقليدية في بريدة كانت ذات نظام إنتاجي منظم ومواقع محددة وأدوات مميزة، وأسهمت في النشاط التجاري والصناعي للمدينة قبل أن تندثر تدريجيًا مع نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

حدود البحث:

يعنى هذا البحث بدراسة حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري، من منظور تاريخي تراثي يربط بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وينحصر ضمن الحدود التالية:

- الحد الزمني:

يغطي الفترة من عام (1322-1402هـ/1904-1982م)، نظرًا لأهميتها في تاريخ المدينة، إذ شهدت انضمامها إلى الدولة السعودية، وبداية الاستقرار السياسي، واكتشاف النفط، وازدهار الحرف التقليدية، وصولًا إلى تراجعها مع الطفرة الاقتصادية أواخر القرن.

- الحد المكاني:

يقتصر على مدينة بريدة باعتبارها المركز الصناعي والتجاري الأبرز في منطقة القصيم، وميدانًا مهمًا لممارسة حرفة الدباغة التقليدية.

الدراسات السابقة:

بعد مراجعة شاملة للدراسات والكتب التي تناولت الحرف والصناعات التقليدية في مدينة بريدة خلال الفترة من (1322-1402هـ/1904-1982م)، تبيّن للباحث ندرة الأعمال التي خصّت حرفة الدباغة التقليدية بالدراسة المباشرة أو التحليل المفصل. إذ لم يُعثر سوى على دراسة أكاديمية واحدة ذات صلة جزئية، إلى جانب بعض الكتب العامة التي تناولت تاريخ المدينة أو الحرف التقليدية على نحو عابر. ومن أبرز ما تم الاطلاع عليه:

- الهويمل، حسن بن فهد، (1988)، "هذه بلادنا بريدة"، ط2، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.:

تناول الكتاب الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية للمدينة، وسلّط الضوء على مسيرتها الحضارية، لكنه لم يتناول الحرف والصناعات التقليدية بتفصيل كافٍ، كما غاب التوثيق الميداني لأدوات الصناع أو أثر هذه الحرف في النشاط الاقتصادي المحلي.

- العبودي، محمد بن ناصر، (2009)، "مشاهدات من بريدة قبل خمس وسبعين سنة – ذكريات كتبت في عام 1425هـ"، الرياض.:

اعتمد الكتاب على الذاكرة الشخصية في توثيق بعض جوانب الحياة الحرفية، لا سيما في شارع الصناعة والوسعة الجنوبية، وذكر بعض الحرفيين وأدواتهم. وعلى الرغم من القيمة التوثيقية للكتاب، فإنه لم يعالج بشكل شامل مواقع ممارسة حرفة الدباغة أو منتجاتها، بل أوصى المؤلف بإجراء دراسات متخصصة حول الحرفيين وأسواقهم.

- الوشمي، أحمد بن مساعد بن عبدالله، (2009)، "الحرف والصناعات التقليدية في المملكة العربية السعودية"، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.:

يعد هذا الكتاب مرجعًا عامًا في تصنيف الحرف والخامات والمنتجات التقليدية، وقد قدّم عرضًا موسّعًا لعدد كبير من الحرف في مناطق المملكة، إلا أنه لم يفصّل في حرفة الدباغة ببريدة، ولا في أسواقها أو أدواتها أو أنماط الزخرفة التي تميز منتجاتها.

- العيدان، سهير بنت محمد، (2011)، "المصنوعات الجلدية في منطقة القصيم"، رسالة ماجستير مطبوعة، جامعة الملك سعود - كلية السياحة – قسم الآثار – سلسلة رسائل جامعية تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض.:

تناولت هذه الدراسة حرفة "الخرازة" ضمن إطار عام للحرف الجلدية في منطقة القصيم، وقدمت عرضًا للخلفيتين الجغرافية والتاريخية للمنطقة، إضافة إلى مناقشة مفاهيم الحرفة والدباغة، والخرازة، وموادها، وأساليبها. غير أن الدراسة لم تتناول حرفة الدباغة في مدينة بريدة بشكل محدد، من حيث أماكن ممارستها أو خصوصية أدواتها ومنتجاتها وأساليبها المحلية.

- خلاصة:

تظهر هذه المراجع أن حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة لم تتناول حتى الآن بدراسة مستقلة وشاملة، وهو ما يبرز أهمية هذا البحث في سد هذه الفجوة المعرفية وتوثيق مكونات هذه الحرفة ضمن سياقها الزمني والمكاني.

منهج البحث:

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات الإنسانية التاريخية، حيث يتناول حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة من خلال رصد ممارساتها وتحليل عناصرها المادية والوظيفية ضمن سياقها الزمني والمكاني. عليه يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، من خلال تتبع ما ورد في المصادر التاريخية حول حرفة الدباغة في مدينة بريدة، وتحليل مضمونها لفهم المواد الخام، والأدوات، وأساليب الإنتاج، والمنتجات النهائية. كما يستند إلى المقابلات الشخصية مع عدد من الحرفيين أو من عاصرهم من الأقارب والتجار وسكان المدينة، بهدف توثيق الذاكرة الشفوية المتصلة بالحرفة. ويدعم ذلك بـ زيارات ميدانية للمتاحف، لتوثيق الأدوات والمنتجات الجلدية التقليدية المرتبطة بمدينة بريدة، ما يُسهم في تقديم صورة شاملة عن هذه الحرفة ضمن سياقها المحلي والتاريخي.

التعريف بمصطلحات الدراسة:

- الحرف التقليدية:

هي الأنشطة اليدوية التي تعتمد بشكل أساسي على المهارات الحرفية والفنية التي يتم توارثها عبر الأجيال. هذه الحرف غالبًا ما ترتبط بإنتاج منتجات صغيرة أو ذات طابع فردي باستخدام أدوات وتقنيات بسيطة من اجل كسب المال؛ إذ تتطلب الحرف التقليدية مهارة وإتقانًا في العمل اليدوي (العمري، 2000)، ومن أمثلة هذه الحرف التقليدية: الحدادة، والنحاسيات، والخياطة، وسف الخوص، والنجارة، والبناء، والحياكة، والفخار، والخراز ة (العيدان،2011).

- الصناعات التقليدية:

هي الأنشطة الإنتاجية الأكبر حجمًا والتي تعتمد على تقنيات وأدوات يدوية حرفية، لكنها تشمل إنتاجًا قد يكون أكثر تنظيمًا ومنهجيًا، ويستهدف توفير منتجات بكميات أكبر مقارنة بالحرف، وقد يقال للصناعة حرفة (الوشمي، 2009) ، وتعكس عادةً التراث الثقافي والحضاري للمجتمعات والبيئة الطبيعية حولهم (الموصلي، 2004م) ، ورغم أنها لا تزال تعتمد على التقنيات التقليدية غير الحديثة، إلا أن الصناعات التقليدية ترتبط عادةً بتلبية احتياجات المجتمعات المحلية بشكل أوسع أو قد تكون مرتبطة بالتجارة، ومن أمثلة الصناعات التقليدية: صناعة المعادن، وصناعة النسيج، والسجاد اليدوي، والصناعات الجلدية، وصناعة الفخار (العيدان، 2011).

- مدينة بريدة:

هي أحد مدن القصيم الرئيسية التسع، وتعتبر عاصمة المنطقة الإدارية، وتقع في وسط جزيرة العرب شمالي غرب مدينة الرياض - عاصمة المملكة - وتبعد عنها ما يقارب 325 كيلوا تقريبًا، وبها اسواق تجارية ومناطق صناعية؛ لإنها ملتقى لحجاج العراق وبلدان الخليج العربي، وكذلك آسيا الوسطى في السابق، وانطلقت منها كثير من الرحلات التجارية على أيدي تجارها العقيلات (المعارك، 1999).

المبحث الأول- التمهيد

إن تناول الجوانب التاريخية والحضارية لمدينة بريدة يتطلب منهجًا تحليليًا شاملاً، يعنى بفهم الأبعاد المتداخلة التي أسهمت في تشكيل هويتها كمركز حضاري واقتصادي واجتماعي بارز في قلب منطقة القصيم. فقد مثّلت بريدة نموذجًا للمدن التي التقت فيها الجغرافيا بالتاريخ، حيث أسهم موقعها الإستراتيجي ومواردها الطبيعية، إلى جانب دورها التجاري، في تعزيز مكانتها كمحطة رئيسة للحرف والتبادل الاقتصادي. ولفهم هذا الدور الحضاري بشكل أعمق، لا بد من العودة إلى جذور نشأتها التاريخية، والتي كانت – ولا تزال – محل خلاف بين المؤرخين، إذ تباينت الروايات حول بدايات تأسيسها وتطورها، ومن أبرز تلك الآراء ما يلي:

أولاً- نشأة بريدة:

- الرأي الأول:

يرجع اسم بريدة إلى بئر حفرها الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه) في هذا الموقع لسقي إبل الصدقة عندما أرسله الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتفقدها. مع مرور الزمن، نشأت الحياة والبيوت حول هذا البئر، وسميت المنطقة تيمناً بمن قام بحفره (العبودي، 1989).

- الرأي الثاني:

ويضيف العبودي (1989) أن أصل اسم بريدة مشتق من كلمة "بريزة" التي تدل على البروز أو الانشقاق. وتاريخيًا، ارتبط هذا المصطلح بانفصال مجموعة من أهل الشماس بسبب نزاع سياسي، حيث لجأت هذه الجماعة إلى المنطقة الشمالية، وشكلت مع سكان القرى المجاورة تحالفاً نشأ على أثره بلدة جديدة عرفت باسم بريدة.

- الرأي الثالث:

يرى بعض المؤرخين أن بريدة نشأت حول مورد مائي باعه شيخ من آل هذال من شيوخ عنزة إلى راشد الدريبي آل أبو عليان عام (985هـ/1577م). وجاء ذلك بعد نزوح آل أبو عليان من ثرمداء بسبب نزاعات داخلية متجهين إلى ضرية ثم توجهوا بعدها إلى موقع بريدة. أقاموا بعدها بالقرب من هذا المورد، وتطور المكان ليصبح مركزًا حضريًا جديدًا يُعرف ببلدة بريدة (ابن عيسى، 1998). رغم التباين الكبير بين هذه الآراء، فإن تنوعها يُبرز أهمية البحث في الجذور التاريخية لمدينة بريدة. الإشارة إلى هذه الاختلافات لا تقتصر على تعدد وجهات النظر، بل تسلط الضوء على الأهمية الثقافية والحضارية -التجارية والصناعية- لهذه المدينة التي كانت مركزًا حيويًا عبر العصور.

لذا، فإن الرأي الأرجح هو الرأي الثالث والأخير، وذلك لارتباطه بسياق تاريخي موثق من خلال المصادر النجدية التي تشير إلى انتقال آل أبو عليان من ثرمداء إلى ضربة ثم إلى موقع بريدة في القرن العاشر الهجري، حيث عقدت بينهم وبين شيخ من شيوخ عنزة صفقة شراء مورد مائي، ما يعد حدثًا تاريخيًا ملموسًا ساهم في نشأة مستوطنة دائمة حول ذلك المورد. ويعزز هذا الرأي ما ذكره مؤرخو نجد مثل ابن بشر وابن عيسى، الذين أشاروا إلى دور آل أبو عليان في تأسيس الكيان الإداري والاجتماعي المبكر للمدينة، مما يمنح هذا الرأي سندًا تاريخيًا أكثر وضوحًا مقارنة بالرأيين السابقين، اللذين يغلب عليهما الطابع الشفهي والأسطوري.

ثانياً- بريدة جغرافياً وجيولوجياً:

تقع مدينة بريدة في قلب منطقة القصيم، على بعد 8 كيلومترات شمال وادي الرمة، وتحديدًا على الحافة اليسرى للوادي، مما جعلها موقعًا جغرافيًا استراتيجيًا منذ نشأتها (الربدي، 2001). أما منطقة القصيم ككل، فتتمركز في وسط الجزيرة العربية مع ميل طفيف نحو الشمال، حيث تُعد بريدة قلبها النابض ومركزها الحضري الأكثر نشاطًا (العبودي، 1989). كما برز موقع بريدة المتوسط كعنصر رئيسي في تاريخ الجزيرة العربية، إذ جعلها نقطة ارتكاز للعديد من طرق الحج والتجارة. فعلى مدار القرون، مرت بها قوافل الحج التي انطلقت من البصرة والكوفة وبغداد متجهة إلى مكة المكرمة، حيث كان طريق زبيدة[1]، الذي يعود تأسيسه إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[2]، حيث يعبر أراضي القصيم ويتخذ من مواردها المائية محطة أساسية للتزود بالمياه كما في بلدة الأسياح "النباج" قديماً (الوشمي والهويمل، 1976).

أما في المجال التجاري، فقد وقعت بريدة على طريق استراتيجي ربط بين جرهاء[3] (لوريمر، 2012م) - التي يعتبر العقير أحد الموانئ الهامة فيها على الخليج العربي - والبتراء في الشام. كان هذا الطريق شريانًا رئيسيًا لنقل البضائع القادمة من الهند عبر اليمامة ووادي الرمة، ثم بلدة بريدة مارًا ببلدات أخرى مثل الرس وحائل وتيماء، حتى يصل إلى سواحل البحر الأحمر ومصر (حسونة، 1960م). كما ذكر الربدي (2001) أن بريدة ارتبطت بشبكة من الطرق التجارية التي استخدمها العقيلات، أبرزها طريق الزبير التجاري وطريق دمشق وطريق الأردن وفلسطين الذي يمر عبر سيناء وصولًا إلى مصر، ما ساهم في تعزيز مكانتها كمركز اقتصادي وحضاري في الجزيرة العربية. ارتبطت أيضاً مدينة بريدة ارتباطًا وثيقًا بمناطق نجد الرئيسية من خلال شبكة من الطرق الحيوية التي كانت تسلكها القوافل التجارية قبل عصر السيارات، حيث تم اختيار المسارات الأقصر والأيسر عبورًا. هذا الارتباط جعل من بريدة مركزًا للمواصلات الداخلية في منطقة نجد، مما عزز دورها التجاري والاستراتيجي كحلقة وصل بين المناطق. ومن أهم هذه الطرق التاريخية: طريق القصيم-حائل، وطريق القصيم-الرياض الذي يمر عبر السر والوشم، وأخيرًا طريق الرياض عبر سدير، وهي مسارات لا تزال بعض الطرق الحديثة تتبعها (الربدي، 2001).

وعند تحديد الموقع بدقة وفق خطوط الطول والعرض، يقع مركز المدينة، ممثلًا بـ "الجامع الكبير" (جامع الملك فهد)، عند دائرة عرض 26.325 شمالًا وخط طول 43.971 شرقًا، وفق خرائط قوقل الحديثة[4]، مما يؤكد على دقة موقعها الجغرافي كحلقة وصل حضارية

(1) السيدة زبيدة هي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. اسمها الكامل هو زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وهي ابنة عم هارون الرشيد. اشتهرت بذكائها وحكمتها وكرمها، ولعبت دورًا هامًا في دعم مشاريع كثيرة في الدولة العباسية. حيث قامت بإنشاء مشروع درب زبيدة لتوفير المياه للحجاج المسلمين بين بغداد ومكة.

(2) هارون الرشيد: هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، وهو الخليفة الخامس للدولة العباسية انتقلَت الخلافة إليه سنة 170هـ ودامت خلافته 23 عام.

(3) جرهاء: هي موقع لبقعة على سواحل الخليج العربي في الأحساء يضم ميناء العقير الحالي.

(4)قام الباحث بالدخول على خرائط قوقل وحدد موقع جامع الملك فهد "الجامع الكبير" سابقاً ونقل خط العرض والطول كما هي.

وتجارية على مر التاريخ. وبناءً على هذا الموقع فما هي صفات هذا الموقع الجيولوجية التي جذبت له كثير من الناس خلال القرن الثالث عشر الهجري؟

وأوضح الهويمل (1988) أنه خلال القرن الثالث عشر الهجري، ظهرت بريدة كبلدة ذات موقع جغرافي فريد، ممتدة على جبال رملية تنساب من الشمال إلى الجنوب، مشكّلة بذلك نسيجاً طبيعياً غنيّاً يعكس تنوعها البيئي. يغطي سطحها وما يحيط بها تكوينات جيولوجية متنوعة، مثل الغنايس الغرانيتي[5] وتكوين الساق، وتبوك، وخف، وسدير، والتي تحتوي على موارد طبيعية أساسية، منها الصخور، والرواسب، والمعادن، والأملاح. وفرت هذه التكوينات موارد حيوية دعمت الحياة اليومية لسكان بريدة، سواء في البناء أو الصناعة أو الزراعة (الربدي، 2001)، حيث ساهمت هذه الموارد في تعزيز الاقتصاد المحلي واستدامته. سطح مدينة بريدة يتكون من كثبان رملية مرتفعة تُعرف بـ"الجردة"[6]، ويفصل بينها منخفضات يُطلق عليها "الخبوب"[7]، مما يُضفي تنوعاً طبيعياً على تضاريس المنطقة. في الشمال تقع منطقة "الصفراء"، أو ما يُعرف بـ"صفراء بريدة"، وهي ذات قشرة صخرية كانت مصدراً أساسياً للصخور المستخدمة في البناء المحلي. هذه المنطقة تخترقها مجاري مائية مثل شعيب الفاجرة وشعيب الودي، اللذان طالما زوادا مدينة بريدة برواسب طينية خصبة، وأسهما أيضاً في تعزيز المياه الجوفية (الربدي، 2001).

ويضيف الربدي (2001) أن الموارد المائية في بريدة كانت عنصراً أساسياً في استقرار الزراعة وازدهار الحياة الحضرية، حيث لم تقتصر أهميتها على التنوع الجيولوجي والمعادن السطحية، بل تميزت بريدة بوجود خزانات مائية جوفية سطحية وعميقة. هذه الموارد وفرت مياهًا صالحة للشرب وقريبة من السطح، واعتمد عليها السكان بشكل كبير في استخداماتهم اليومية في المنازل وفي أنشطتهم الاقتصادية، لا سيما الزراعة. استمدت هذه الخزانات مياهها من وادي الرمة وشعيب الفاجرة وشعيب الودي، حيث تتسرب المياه عبر الرمال لتصل إلى الخزانات الضحلة، ما جعلها مصدراً أساسياً للآبار والقلبان التي غذت حياة سكان المدينة ومزارعها. عليه فقد قام أهالي بريدة من مزارعين في مزارعهم وسكان في بيوتهم منذ قديم العصور خصوصاً في عصر الأمير الشجاع حجيلان بن حمد[8] بحفر كثير من الآبار لتلبية الطلب المتزايد على المياه (السكاكر، 2008).

ثالثاً- مناخها:

يتسم مناخ بريدة بخصائص المناخ القاري الصحراوي، حيث تكون درجات الحرارة مرتفعة للغاية خلال فصل الصيف وشديدة البرودة في الشتاء، مع هطول أمطار موسمية غالباً في فصل الشتاء (المسلم، 1988). هذا النمط المناخي يعود إلى عدة عوامل رئيسية، أبرزها الموقع الجغرافي لبريدة بعيداً عن المسطحات المائية، مما يحرمها من التأثيرات التلطيفية للبحار والمحيطات. إضافة إلى ذلك، فإن مدينة بريدة تحيط بها الكثبان الرملية من جميع الجهات، ما يساهم في زيادة الرياح الحارة المحملة بالغبار والأتربة. كما تسهم سماء بريدة الصافية وارتفاع عدد ساعات سطوع الشمس في تعزيز هذه السمات المناخية. هذه الخصائص المناخية لم تكن مجرد تفاصيل طبيعية، بل كان لها تأثير عميق على حياة السكان. فقد انعكس هذا المناخ على النشاط الزراعي، حيث تحددت أنواع المحاصيل الزراعية بناءً على الظروف المناخية القاسية. كما أثر على التجارة وأسلوب مزاولتها، التي تأقلمت مع طبيعة المناخ من خلال تخزين السلع وتكييف وسائل النقل. أما في المجال العمراني، فظهر تأثيره في أساليب بناء المنازل، التي صُممت للتكيف مع الحرارة الشديدة في الصيف والبرودة القارسة في الشتاء، ما أثر بدوره على تخطيط مدينة بريدة بأسلوب يعكس محاولات التكيف مع هذا المناخ القاري الصحراوي (الربدي، 2001).

---

(5) الغنايس الغرانيتي: هو صخر متحول تشكل من الجرانيت، ويتميز بمظهره الشريطي أو المتورق الناتج عن إعادة ترتيب المعادن فيه "الكوارتز والفلدسبار والميكا" بفعل الضغط والحرارة، دون أن ينصهر وهذا التكوين يعتبر ضمن صخور الأركية المكونة للقاعدة الأركية القديمة للدرع العربي وهو من أكثر أنواع الصخور المكونة لهذه القاعدة في منطقة القصيم حسب كتاب الدكتور محمد الربدي، بريدة: دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية.

(6)الجردة: اسم يطلق عل الأرض الرملية الشبه مستوية، كما يطلق على سوق بريدة الشهير ببيع الحيوانات والمنتجات اسم الجردة وما زال هذا الا سم يستخدم حتى وقت كتابة هذه الدراسة.

(7) الخبوب: جمع خب ويطلق على نوع الأرض المنخفضة بين كثيبين رمليين ممتدان بشكل طولي ويحيط بريدة عدد من الخبوب يطلق عليها أسم مضاف لها للتعريف بهذا الخب نسبة إلى أهله أو أميره مثل: خب الحلوة خب القصيعة وخب روضان وغيرها.

(8) حجيلان بن حمد بن حسين آل أبو عليان (توفي عام 1234هـ/1819م): هو أحد أبرز أمراء بريدة في عهد الدولة السعودية الأولى. تولى إمارة بريدة نحو عام 1182هـ/1768م، واستمر في الحكم ما يقارب نصف قرن. اشتهر بصلابته الإدارية وحزمه السياسي، وكان من الموالين للدعوة الإصلاحية التي قادها الإمام محمد بن عبدالوهاب وتحالف مع الدولة السعودية الأولى، مما جعل بريدة تحت راية الحكم السعودي. تميزت فترة حكمه بتعزيز الأمن الداخلي في القصيم، وتقوية مكانة بريدة كمركز صناعي واقتصادي وتجاري مهم، كما لعب دوراً سياسياً بارزاً في ترسيخ الولاء للدولة السعودية، حسب كتاب العبودي، معجم أسر بريدة.

رابعاً- أسواقها:

أشار النقيدان (1995) إلى أن مدينة بريدة اشتهرت منذ القدم بعدد من الأسواق التاريخية التي كانت بمثابة مراكز تجارية رئيسية، تجذب الناس من مختلف المناطق لبيع وشراء السلع وتبادل المنتجات. من بين أبرز هذه الأسواق، يُعتبر سوق مهارش أقدم سوق عرفته بريدة، وقد اكتسب مكانة خاصة كأحد المعالم التجارية الأولى للمدينة. يقع سوق مهارش غرب قبة رشيد، ويمتد بطول ستين مترًا، ليصل إلى السوق الثاني المعروف باسم سوق فوزان، الذي شكّل امتدادًا طبيعيًا للحركة التجارية. أما الوسعة الجنوبية، فقد حملت في بدايات ظهورها أسم "سوق عليان" (الهبدان، 2021م). تقع الوسعة الجنوبية جنوب الجامع الكبير المعروف حاليًا بجامع الملك فهد، وهي على وقت الأمير الشهير لمدينة بريدة حجيلان بن حمد (الهويمل، 1988)، وإلى الجنوب منها يقع سوق قبة رشيد، الذي ينسب إلى رشيد بن سليمان الحجيلان، والذي لقي حتفه عام (1819). يقع هذا السوق في المنطقة الجنوبية من الجامع الكبير، وكان يمثل قلب الحركة الاقتصادية في بريدة خلال تلك الفترة. اشتهرت قبة رشيد باسم صاحبها، حيث كان رشيد يجلس في القبة ليشرف على السوق الذي يمتد إلى الجهات الثلاث: الشمال، الجنوب، والغرب، مما أضفى على السوق صفة النظام والرقابة. كما كان يمتد من القبة سوق باتجاه الغرب، يضم دكاكين صغيرة للنساء اللاتي كن يبعن مختلف أنواع البهارات والتوابل. هذه الأسواق، بطابعها البسيط والمنظم، كانت تمثل روح التفاعل الاجتماعي والاقتصادي في بريدة، وشهادة على ازدهارها التجاري خلال تلك الحقبة (ال عبدالمحسن، 2007). ومن الأسواق الشهيرة الأخرى في بريدة: سوق داحس[9]، الذي يقع جنوب الجامع الكبير بعد الوسعة الجنوبية إلى جهة الغرب. يقع هذا السوق إلى الغرب من قبة رشيد، ويمتد غربًا بطول 100 متر تقريباً، وهو المكان المخصص لدكاكين الجزارين الذين كانوا يبيعون اللحوم. اشتهر سوق داحس في بدايته بكونه أحد المراكز الراقية في قلب بريدة القديمة حيث كان يطلق عليه الحي الدبلوماسي بسبب أنه يسكنه الأمراء وكبار الشخصيات في بريدة في بدايات القرن الثالث عشر هجري (الهبدان، 2021م)، ويضيف العبودي (2019) أن هذا السوق كان يحتضن منزل الأمير الشاعر محمد بن علي العرفج، الذي تولى إمارة بريدة عام (1822) الذي اشتهر بشعره الفريد حتى اغتياله عام (1842). كما كان من أبرز الأسواق التاريخية في بريدة الوسعة الشمالية، التي تقع شمال الجامع الكبير وبالتحديد شمال الباب الشمالي للجامع الكبير. تأسست هذه الوسعة في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، لتكون مركزًا لبيع الحيوانات من جمال وخيول وحمير وأبقار وأغنام، ما جعلها نقطة انطلاق للنمو التجاري في المدينة. ومع ازدهار الحركة التجارية، توسعت أسواق بريدة باتجاه الشمال، حيث نشأت أسواق متخصصة، بدءًا من سوق الخرازين شمال الوسعة الشمالية، الذي تخصص في صناعة منتجات الجلود، يليه شارع الصناعة، ويمتد إلى الشمال بعد سوق الخرازين، الذي اشتهر بحرفه اليدوية المتنوعة كالحدادة والنحاسيات، ثم سوق النجارين الذي ارتبط بصناعة الأثاث والأبواب والنوافذ الخشبية إلى أن يتوقف شارع الصناعة عند مسجد الصائغ "مسجد الشريدة". مع مرور الزمن (العبودي،2009) ، ونتيجة لازدحام الأسواق القديمة واكتظاظها، تم استحداث سوق الجردة في عام (1925). سوق الجردة كان مناخ للإبل قبل أن ينتقل السوق اليه، بسبب موقعه الاستراتيجي شرق الجامع الكبير في ساحة كبيرة جنوب قصر الأمير، حيث كانت مقصورة القصر تطل على السوق من جهته الشمالية، مما أضفى عليه طابعًا رسميًا وإداريًا. وفي الجهة الجنوبية من سوق الجردة، يبدأ شارع تجاري يتجه غربًا، كان يعرف باسم "الحدرة"، لكنه لاحقًا أطلق عليه اسم "المجلس" (اليحي، 2021) هذا الامتداد يعكس حيوية النشاط التجاري في بريدة، حيث تحولت الأسواق إلى جزء لا يتجزأ من النسيج العمراني والاقتصادي للمدينة، شاهدة على تاريخها المزدهر وروحها التجارية المتأصلة. ورغم افتتاح هذا السوق الجديد، لم تفقد الأسواق القديمة مكانتها التجارية، بل ظلت صامدة محتفظة بدورها كمراكز اقتصادية وتجارية تستقطب التجار والزوار والمتسوقين، حيث قدر عدد الدكاكين في هذه الأسواق بحوالي (300) دكان إبان القرن الثالث عشر الهجري (الهويمل، 1988). ويذكر السلمان (1987) أن هذه الأسواق لم تكن مجرد مراكز للبيع والشراء، بل كانت ملتقى تجاريًا وصناعيًا فريدًا، حيث اجتمع فيها رجالات ونساء بريدة وما جاورها من المدن والقرى، حاملين معهم منتجاتهم الزراعية والحرفية. كان البعض يأتي إلى هذه الأسواق لعرض السلع المصنوعة يدويًا أو المحاصيل الزراعية، بينما حضر آخرون للتزود بالمؤن والماء، خاصة من بين الحجاج الذين جعلوا من بريدة محطة مهمة في طريقهم. من الجدير بالذكر الإشارة إلى انطباعات الرحالة البريطاني ويليم بيلجريف خصوصاً عند وصوله بالقرب من بريدة يوم 16 سبتمبر عام (1862). فقد كانت المشاهد الأولى التي استوقفت انتباهه كثبان الرمال الممتدة في الجهة الغربية من مدينة بريدة وكثرة أشجار الأثل المحيطة. وقبيل وصوله إلى أسوار بريدة، فوجئ ببساتين النخيل وبرك المياه المنتشرة في المكان، إضافة إلى حشود من الناس يتبادلون البيع والشراء بالقرب من البوابة الشمالية للمدينة، حيث كانت القوافل القادمة من إيران والهند وغرب آسيا تتخذ من بريدة محطة استراحة وتبادل تجاري. كما وصف المدينة قائلاً إن البساتين تحيط بها من الخارج، بينما تحتضن الأسوار المنازل الطينية والشوارع الضيقة التي تتصل ببعضها لتشكل شبكة تربط المنازل بأسواق المدينة التي تبدأ بسوق الجزارين ثم محالات الأقمشة، ثم دكاكين الملبوسات، ثم المفروشات محلية الصنع او مستوردة، واصفاً بشكل دقيق حوانيت الخرازين، والخياطين، والنحاسين، والحدادين، وساحات البيع التي تعج بالنشاط، والباعة

(9) داحس: يقال إنه رجل ثري جاء من حائل إلى بريدة وأشترى عدد من العقارات في هذا الشارع وتوفي وليس له ذرية بناء على ما ذكره عثمان الهبدان في مقابلة له في اليوتيوب عن سوق داحس.

والمتجولين والمتسوقين (بالجريف، 2001م). بالمقابل أوضح السلمان (1987) أن هذه الأسواق ازدادت حيويتها في مواسم الأعياد، حيث تضاعفت فيها العمليات التجارية بشكل لافت، ما أدى إلى ارتفاع الأسعار في تلك الفترات نتيجة تزايد الطلب على المنتجات والسلع إبان فترة المواسم. من جانبه الهويمل (1988) قال إن تجارة بريدة تجاوزت حدودها الجغرافية المحلية والإقليمية، لتصل إلى المستوى الدولي، بفضل جهود العقيلات[10] أو أهل عقيل، الذين جعلوا من أنفسهم جسورًا تربط بين بريدة والهند، والعراق، والشام، ومصر. هؤلاء التجار حملوا منتجات بريدة الزراعية والحيوانية والصناعية إلى أسواق عالمية، مما جعل المدينة مركزًا تجاريًا دوليًا له مكانة راسخة. وإيمانًا بأهمية هذا الدور التاريخي، ينتقل البحث في الفقرة التالية إلى تسليط الضوء على إسهامات العقيلات[11]، مع التركيز على الشواهد التاريخية التي تؤكد مكانة بريدة كمحور تجاري وصناعي عالمي، وكيف ساهمت في بناء شبكة تجارية واسعة تميزت بالتنوع والديناميكية.

خامساً- عقيلات بريدة:

العقيلات هم أولئك الرحالة النجديون الذين امتدت أنشطتهم التجارية عبر أكثر من أربعة قرون، حيث تخصصوا في تجارة الإبل والخيل والأغنام والسلع التجارية، دون أن ينتموا إلى قبيلة معينة، مما أضفى على دورهم طابعًا شاملاً ومتميزًا. ومع ذلك، يركز هذا البحث بشكل خاص على عقيلات بريدة الذين برعوا في ربط تجارة المدينة بباقي دول العالم الإسلامي من خلال شبكات تجارية واقتصادية مترابطة. استخدم هؤلاء التجار الإبل كوسيلة أساسية لنقل البضائع من بلد إلى آخر، فكانوا يشترون الإبل والخيل والأغنام من بريدة خصوصاً وغيرها من البلدان التي تستقبل أسواقها الباعة من جميع مناطق الجزيرة العربية ويصدرونها إلى بلاد العراق، والشام، وفلسطين، ومصر. وفي المقابل، كانوا يجلبون من تلك الدول بضائع متنوعة مثل الأقمشة والمعادن والمواد الأولية، والتي كانت تجد سوقًا رائجًا عند عودتهم إلى بريدة ومناطق أخرى من جزيرة العرب (الهويمل، 1988). لإبراز مدى ضخامة قوافل العقيلات التجارية وأهميتها الاقتصادية، يجدر الإشارة إلى أن كل قافلة تمثل منظومة متكاملة من البشر والحيوانات والأدوات، حيث تضم القافلة بين 300 إلى 400 خيمة، والحرس المرافقين للقافلة، فكان يتراوح عددهم بين 200 إلى 400 رجل، بالإضافة إلى الرفقاء والدليلة الذي يوجهون القافلة. تحوي القافلة ما بين 200 إلى 300 "رعية" من الإبل، وكل رعية تشمل بين 81 إلى 91 رأسًا من الإبل، ليصل إجمالي عدد الإبل في القافلة الواحدة إلى ما بين 16,000 و27,000 رأس. وإلى جانب ذلك، كانت القافلة تضم بين 100 إلى 200 رأس من الخيول. أما عدد الرعيان، والملاحيق، والخويا، فكان يتراوح عددهم بين 400 إلى 600 رجل، مما يجعل العدد الإجمالي لرجال القافلة يتراوح بين 2,000 و3,000 شخص. اعتاد العقيلات أن يحددوا مواقع استراتيجية عند آبار المياه لتكون محطة تجمع وانطلاق لرحلاتهم التجارية، حيث يتزودون بالماء ويتبادلون التخطيط النهائي للمسار. فإذا كانت وجهتهم تتجه نحو العراق، كانوا يتواعدون في بلدة الطرفية الواقعة شمال شرق بريدة، التي تميزت بموقعها كمنطلق مثالي نحو الطرق الشرقية. أما إذا كانت وجهتهم صوب الشام، فلسطين، أو مصر، فقد اعتادوا التجمع في بلدة قصيباء شمال بريدة، مستفيدين من موقعها الجغرافي كنقطة ارتكاز نحو المسارات الغربية والشمالية الغربية (المسلم، 1989). لقد كانت تلك القوافل بمثابة مدن متحركة تسير عبر الصحراء الشاسعة، تحمل معها البضائع، وتنقل الخبرات، وتبادل الثقافات.

كما كان للعقيلات دور بارز في تأمين سلامة القوافل التجارية التي تنطلق من بريدة إلى بلدان شمال الجزيرة العربية أو قوافل الحجاج، حيث تولوا حمايتها من المخاطر والاعتداءات، مما جعلهم ليس فقط تجارًا، بل أيضًا حماة للممرات التجارية الحيوية والدينية التي أسهمت في تعزيز مكانة بريدة كمركز تجاري محوري في المنطقة خصوصاً في عهد الأمير حجيلان بن حمد خلال فترة حكمه (1780-1819) (السكاكر، 2008). وذكر الوهيبي (2015) ان حجيلان يعد من أبرز رجال العقيلات الأوائل الذين ساهموا في إدخال تطورات صناعية إلى مدينة بريدة، حيث جلب الأدوات اللازمة لصناعة الذهب والأواني والنجارة والحدادة. وتشير المصادر التاريخية إلى أن قوافل تجارية عديدة وصلت إلى أراضي نجد خلال فترات زمنية متفرقة، من بينها قافلة شهيرة قَدِمت من البصرة والزبير في عام (1825)، وأخرى وصلت من بندر العقير في عام (1829). وقد حملت هذه القوافل كميات كبيرة من الأموال والملابس والأقمشة، إضافة إلى مجموعة متنوعة من البضائع والمواد الأولية التي كانت تلبي احتياجات سكان نجد (ابن بشر، 1982).

من جانب أخر أوضح المسلم (1989) أنه كان للأمير مهنا الصالح، قبل أن يصبح أمير لبريدة، دور بارز ومتميز في تأمين قوافل الحجاج خلال القرن الثالث عشر الهجري، حيث شكل نموذجًا في القيادة والحماية العسكرية التي أكسبته ثقة ولاة بغداد وجعلته منافسًا قوياً لابن رشيد في تلك الحقبة. ففي عام (1849)، أشرف الأمير مهنا على قوافل حج هائلة، بلغ عدد الجمال فيها خمسين ألفًا. رافق القافلة جيش كبير مكون من عشرين ألف حارس، لضمان حماية القافلة من أي تحركات مشبوهة أو معادية. كانت هذه القوافل رمزًا للهيبة والقوة السياسية، ودليلًا على أن بريدة لم تكن مجرد مدينة عابرة على الطريق، بل محورًا حضاريًا يربط بين أقاليم العالم الإسلامي. ومن الشواهد التاريخية التي تبرز أمانة وحنكة رجال العقيلات في التجارة، ما عثر عليه في دفاتر أحد أحفاد التجار الدمشقيين. تضمنت هذه الدفاتر وثيقة مؤرخة عام

(10) سيأتي التعريف بها في الفقرة القادمة "خامساً".

(11) سيأتي التعريف بها في الفقرة القادمة "خامساً".

(1859)، تشير إلى شراكة تجارية بين التاجر الدمشقي ورجل يدعى علي من بريدة. ووفقًا للوثيقة، قدم التاجر الدمشقي مبلغًا قدره 300 ليرة عثمانية لعلي من أجل المضاربة التجارية. نجحت هذه الشراكة بتحقيق ربح قدره 75 ليرة عثمانية، مما دفع التاجر الدمشقي إلى تكرار العمل مع هذا الشريك، معبرًا عن ثقته الكبيرة به في تعليقاته على الوثيقة مما جعله يكرر المضاربة مع علي مرة أخرى، كما أشار أحفاد التاجر الدمشقي إلى وجود العديد من أسماء رجال العقيلات في دفتره، ما يعكس مستوى الثقة العميقة التي حظوا بها (الرواف، 2013م). هذه الواقعة ليست مجرد دليل على مهارتهم التجارية، بل تؤكد أيضًا مكانتهم كممثلين لقيم الأمانة والنزاهة التي جعلت من العقيلات نموذجًا فريدًا في عالم التجارة آنذاك. ومن خلال هذه الروابط التجارية الممتدة والنشاط الاقتصادي الحيوي، الذي تجاوز حدود بريدة إلى الساحة الإقليمية والدولية، تبرز كمية التعاملات التجارية بالماشية من آبل وخيول في أسواق بريدة خلال القرن الثالث عشر الهجري.

المبحث الثاني- تعريف الدباغة وخامتها

ذكر العمير (2000) أن العديد من مدن المملكة اشتهرت بإنتاج كميات وفيرة من المصنوعات الجلدية؛ من بين هذه المدن مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وجيزان، ونجران، والرياض، وبريدة، وعنيزة، والقطيف. ويعد هذا التراث الحرفي العريق انعكاسًا للتقاليد الفنية والمهارات المتوارثة التي ساهمت في تشكيل هوية تلك المناطق وذلك بسبب وفرة الثروة الحيوانية خصوصاً منطقة نجد وتحديداً في مدينة بريدة وما حولها. ومن هذا المنطلق، تقتضي دراسة حرفة الدباغة في مدينة بريدة تناولها أولاً بتعريفها من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم تخصيص تعريف إجرائي خاص يتماشى مع أهداف الدراسة الحالية، ليكون حجر الأساس لبقية أقسام هذه الحرفة. وهذا النهج لا يسلّط الضوء فقط على أهمية الدباغة كمهنة تقليدية، بل يحدد مصادر الجلود المستخدمة في الدباغة وأساليب وطرق الدباغة والأدوات ومنتجاتها وأماكن ممارسة هذه الحرفة في مدينة بريدة، كما يؤكد على دورها التاريخي والثقافي في بناء وترسيخ الهوية الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بريدة.

أولاً- تعريف الدباغة:

أ. **الدباغة لغة:** دَبَغَ دبغاً ودِباغاً، ودباغة الجلد: لينة وعالجه بالقرض ونحوه من المواد فاندبغ، والدباغة: حرفة الدباغ، وهو صاحبها. والمدبغة موضع الدباغة (رضا، 1957).

ب. **الدباغة اصطلاحاً:** حرفة تقوم أساساً على عملية إصلاح جلود الحيوانات وإبعاد الصوف والشعر منها وتليينها وتنظيفها وإزالة النجاسة وتبديل رائحتها لكي تكون صالحة للاستفادة منها، والمكان الذي يتم إصلاح الجلود فيه ودبغها يسمى المدبغة (الزبيدي، 1889 والجرجاني، 1983).

ثانياً- التعريف الإجرائي لحرفة الدباغة التقليدية:

تعرف حرفة الدباغة إجرائياً بأنها العملية التقليدية التي تُزال من خلالها الشحوم واللحوم العالقة عن جلود الحيوانات عقب عملية السلخ؛ وقد تشمل هذه العملية في بعض الأحيان إزالة الشعر والصوف والوبر وفقاً للغرض النهائي من الجلد. يتم ذلك باستخدام أدوات يدوية متخصصة وأساليب دقيقة تُسهم في تليين الجلود وإزالة الروائح غير المرغوب فيها، مع الاستعانة بمواد طبيعية مستخرجة من البيئة المحيطة، بهدف تهيئة الجلود للاستخدام المباشر أو كمواد أولية لصناعات أخرى. تُنفذ هذه العملية بطرق وتقنيات توارثها الأبناء من الاباء وانتقلت عبر الأجيال، حيث مارسها أهالي بريدة بفخر سواءً في سياق الحياة اليومية أو في إطار الأنشطة التجارية، خلال الفترة الممتدة من عام (1904) وحتى (1982)، حيث نوه العبودي (2009) إلى أن حرفة الدباغة شكلت ركيزة أساسية من ركائز الحياة الاقتصادية والحرفية في بريدة.

ثالثاً- المواد الأولية للدباغة

تقسم المواد المستخدمة في حرفة الدباغة التي كانت تُمارَس في مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري إلى قسمين رئيسيين:

أ. المواد الأولية المتمثلة في جلود الحيوانات الداجنة والبرية

اعتمد الدباغون في بريدة على جلود عدد من الحيوانات، مثل الأغنام كالضأن والماعز، والإبل، والبقر بجميع أنواعها، نظرًا لوفرة هذه الحيوانات في المدينة، التي كانت تحتضن أسواقًا كبرى لبيع الماشية، مثل الوسعة الشمالية وسوق الجردة، حيث كانت تُجلب إليها أعداد هائلة من الماشية من مختلف المناطق، كما ورد ذكره في التمهيد. كانت هذه الحيوانات تُذبح في المدينة خلال أعياد الأضحية أو في الأيام العادية للاستفادة من لحومها، وكان الجزارون والأهالي يذبحون ويسلخون حيواناتهم إما في البيوت أو في الشوارع، نظرًا لعدم توفر المسالخ الحديثة آنذاك. ثم تنقل اللحوم والشحوم والعظام والأجزاء القابلة للاستهلاك كالقصابة[12] إلى المنازل أو إلى حوانيت الجزارين، بينما يتولى أشخاص

(12) القصابة: هي الأجزاء الداخلية للحيوان كالمعدة والأمعاء والرئة والكبد والطحال، التي كانت تطبخ وتؤكل في ذلك الوقت.

متخصصون خلال سبعينات القرن الرابع عشر بعملية جمع الجلود – وهي مهنة قائمة بذاتها في بريدة – من الجزارين والأهالي وبيعها على الدباغين (العمران، 2023) بأسعار تراوحت بين الريال والعشرة ريالات، خصوصًا في أواخر القرن الرابع عشر الهجري (المرشود، 2011)، وبالمقابل ذكر صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) أنه كان بعض أهالي بريدة يأتون بجلود حيواناتهم إلى الدباغين لكي يعالجونها بالدباغة كل حسب طلبه مقابل مبلغ مالي.

إضافة إلى ذلك، كان الدباغون يستفيدون من جلود بعض الحيوانات البرية التي يصطادها أهالي بريدة، مثل الغزلان، والأرانب، والضب، والنعام، حيث كان الصيادون يجلبون هذه الجلود إلى الدباغين لمعالجتها وتجهيزها للاستخدام. وقد كانت هذه الحيوانات متوافرة بكثرة في المناطق الصحراوية القريبة من بريدة، لا سيما في صفراء الأسياح[13]، والمتينيات[14]، وصفراء الشماسية[15]، ونفود الطرفية[16]، وعرق المظهور[17]. كما كانت تنتشر بأعداد كبيرة في الصحاري الشاسعة لمناطق المملكة، التي كان أهالي العقيلات يجوبونها ذهابًا وإيابًا خلال رحلاتهم التجارية (العبودي، 2019 والعبودي، 2009). والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:

هل كان أهالي مدينة بريدة يدبغون ويستخدمون جلود بعض الحيوانات غير المألوفة كالخيول والحمير، أو السباع كالذئاب والثعالب والضباع؟

نظراً لموقع مدينة بريدة كمركز تجاري بارز يرتبط بالعالم الخارجي عبر قوافل العقيلات، وكونها شهدت العديد من الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية والسياسية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري، فإن منطق الاكتفاء الذاتي وسد الحاجة قد فرض على سكانها توسيع دائرة استخدام الموارد المتاحة، بما في ذلك الجلود غير التقليدية. ورغم أن جلود بعض الحيوانات مثل الحمير أو السباع (كالذئاب والثعالب والضباع) والتي تحيط بها قيود دينية أو ثقافية أو حتى ندرة مادية، فإن اطلاع الباحث على عدد من القطع الجلدية المصنوعة من هذه الأنواع – كجواعد لبعض السباع، وسروج، وتغليفات مقابض للأسلحة البيضاء والنارية، ولاطلاع على نموذج هذه الأسلحة أنظر إلى ملحق رقم (1)، (صور1-2) – والمعروضة في المتاحف الشخصية والعامة[18]، يعد دليلاً ملموساً على استخدام جلود تلك الحيوانات في بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري. ويبدو أن هذا الاستخدام لم يكن رائجًا على نطاق تجاري، بل انحصر في الإنتاج الفردي أو الرمزي، وغالبًا ما ارتبط برغبة في التميز أو التفاخر، حيث كانت بعض هذه الجلود تستخدم في تزيين الأدوات الشخصية أو إهدائها ضمن السياقات الاجتماعية الخاصة. وهذا يعكس مرونة الحرفيين في التعاطي مع الموارد النادرة، وتعدد مستويات الذوق والقيمة الثقافية المرتبطة بمنتجاتهم.

ب. المواد الثانوية المستخدمة في عملية الدباغة

وذكر العمران (2023) أن الدباغون في بريدة اعتمدوا على مجموعة من المواد الطبيعية المتاحة محليًا في عملية الدباغة، وكان أبرزها الماء، وملح الطعام، والأرطى[19]، والكرمع[20]، والتمر، وأوضح صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس23، 2025) أن الزيوت الحيوانية، والأصباغ الطبيعية المأخوذة من النبتات كالعصفر وقشور الرمان وقشور البصل والنيل والقرمز والزعفران كان يستخدمها الدباغون لإضفاء لون للجلد بعد دباغته.

الماء: ذكر العبودي (2009) أن الماء كان متوفرًا في كل منزل تقريبًا، حيث امتلكت معظم البيوت آبارًا - حسيان[21] - يستخرج منها الماء، في أغلب منازل بريدة، وبالتأكيد منازل الدباغين من ضمن هذه المنازل.

التمر: كان متاحًا بكثرة، فقلما يكون هناك منزل يخلو من نخلة واحدة على الأقل في مدينة بريدة، فضلًا عن البساتين المحيطة ببريدة التي كانت تعج بالنخيل التي تنتج التمر كثمر لها (العبودي، 2009).

ذكر قرب الماء وكثرة الآبار وكثرة النخيل في بساتين بريدة وضواحيها كل من الرحالة باركلي رونكيير في كتابه عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل بعدما زار بريدة عام (1912) وكذلك ذكره الرحالة هاري سانت جون فيلبي في كتابه بعدما زار بريدة عام (1918).

(13)صفراء الأسياح: هي منطقة صخرية وعرة يتخللها كثير من الشعبان تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة على بعد 30 كيلو تقريباً.

(14)المتينيات: هي منطقة صخرية رسوبية أصبحت الان ضمن نطاق بريدة داخل الدائري، تقع إلى الشمال الشرقي منها، وسابقاً كان فيها بعض المزارع.

(15)صفراء الشماسية: هي منطقة صخرية وعرة يتخللها كثير من الشعبان تقع إلى الشرق من مدينة بريدة على بعد 30 كيلو تقريباً.

(16)نفود الطرفية: هي منطقة رملية يكثر فيها نبات الأرطى والرمث تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة على بعد 25كيلو تقريباً.

(17)عرق المظهور: هي منطقة رملية يكثر فيها نبات الأرطى تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة على بعد 55كيلو تقريباً بعد بلدة الأسياح.

(18) مصدر الصور متحف بريده، وللوصول اليه أو زيارته أرجو إتباع الإحداثية التالية في خرائط قوقل ماب: (43+25X9).

(19)الأرطى: هو نبات صحراوي شجيري ينمو في المناطق الجافة، خاصة في الجزيرة العربية. تتميز بسيقانها الرفيعة وأوراقها الصغيرة، وتستخدم منذ القدم في دباغة الجلود وخاصة القرب

(20)الكرمع هي بذور أو ثمر شجر الأثل الذي ينمو كثيراً في بريدة وتستخدم بذوره التي تسمى الكرمع لدباغة الجلود قديما.

(21) حسيان: جمع حسو وهو البئر الذي يستخرج من الماء وعادة يكون في البيوت أو في الحارات في بريدة بالقرب من المسجد.

الكرمع[22]: كان شجر الأثل متواجد في جميع ضواحي وبساتين مدينة بريدة، وثماره أو بذوره تسمى الكرمع، كما تبين بعض المصادر أن الكرمع يجلب إلى بريدة من حائل. حيث إنه في عام (1931) "كان الأمير مبارك بن مبيريك خارج في وقت متأخر من الليل من قصر الإمارة في بريدة إلى بيته وإذا به يصادف أناسًا مهربين بضائع من الخام وغيره، وإذا به يقابلهم لا يستطيع أحد منهم أن يترك الآخر فصار يضرب حمل البضاعة المهربة بعصاه ويقول: هذا كرمع؟ ثم أردف قائلاً لهم وشلون الأمير ابن مساعد عساه طيب، يوهمهم أنه يظن أنهم جاءوا من حائل، مع أنهم كانوا قادمين من العراق" من باب تطمينهم (العبودي، 2019).

الملح: كان يجلب إلى أسواق بريدة على شكل فروش ملحية[23] من عدة سبخ، مثل سبخة "معدن الشقة"[24]، عن طريق الجمالين[25] الذين كانوا ينقلونه في رحلات منتظمة. ذكره أيضاً السير جون فيلبي خلال حديثه عن مدينة بريدة في زيارته التي كانت في عام (1918).

الأرطى[26]: كان يجلب إلى سوق بريدة عن طريق بعض البادية، حيث كانوا يحملونه على الجمال في سرابيل، ويصفونه على الجدران، ليأتي الدباغون لاحقًا لشرائه واستخدامه في عمليات المعالجة (العمران، 2023).

الزيوت الحيوانية "الودتسه"[27]: أوضح صالح عبدالله (اتصال شخصي، أبريل18، 2025) أن الزيت الحيواني يستخدم بعد عملية الدباغة لتليين الجلود لكي تصبح جاهزة للاستخدام في عملية الخرازة.

الأصباغ النباتية: تستخدم المواد الطبيعية في تلوين الجلود، حيث يستخرج اللون الأحمر والبني من قشر الرمان، واللون الأصفر من العصفر والزعفران، واللون الأخضر من الحناء، أما اللون الأسود فيستخرج من الحديد بعد تخميره بالماء وخلطه مع قشر الرمان، ويستورد النيل من الهند لاستخراج اللون الأزرق ويُضاف إليه الشب والتمر والجير الخام لتقوية اللون، في حين يستخدم القِرمِز لاستخراج اللون الأحمر الغامق (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس23، 2025 وصالح عبدالله، اتصال شخصي، أبريل 18، 2025). وذكر النقيدان (2012م) أن معظم هذه المواد موجودة في أسواق العطارين في بريدة حيث كانت النساء تبيعها في قبة رشيد والوسعة الشمالية وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال الا وهو:

هل استخدم الحرفيون الدباغون في مدينة بريدة موادًا أخرى للدباغة، كما هو الحال في بعض مناطق المملكة، مثل: الجريش، والقمح، والأرز، والجير، والجص، والقرض، والعرن، والجنبة، والزرنيخ، وغيرها؟

تشير الشهادات الميدانية والمقابلات التي أجراها الباحث مع بعض الحرفيين وأبناءهم في مدينة بريدة إلى أن المواد الرئيسة التي استخدمت في حرفة الدباغة محليًا اقتصرت على عناصر طبيعية متوفرة في البيئة المحلية، مثل الأرطى، والكرمع، والتمر، والملح، وأصباغ نباتية مثل التي تستخرج من قشور الرمان. ومع ذلك، فإن المصادر المكتوبة والمرئية التي وثّقت ممارسات الدباغة في مناطق أخرى من المملكة، تظهر تنوعًا في المواد المستخدمة، يشمل القرض، والعرن، والجريش، والأرز، والجص، والجنبة، وغيرها، بحسب خصائص كل منطقة ومواردها الطبيعية. ونظرًا إلى أن مدينة بريدة كانت مركزًا تجاريًا نشطًا ومرتبطًا بأسواق المناطق المجاورة داخل المملكة وخارجها، فمن المرجّح أن بعض الدباغين المحليين قد اطلعوا أو تأثروا بتجارب المناطق الأخرى، خصوصًا في ظل وجود العقيلات وتبادل المواد والخبرات. وعليه، فمن غير المستبعد أن تكون بعض هذه المواد قد استُخدمت في أوقات أو سياقات معينة حسب توافرها في السوق أو في فترات نقص المواد التقليدية، وذلك في إطار سعي الحرفيين إلى تحقيق مرونة إنتاجية وتكيّف مستمر مع متغيرات البيئة والأسواق. ويُعد هذا من مظاهر الاندماج الثقافي والاقتصادي الذي عرفت به المدينة في تعاملها مع الحرف والمواد والمهارات.

(22)الكرمع: هو ثمر شجر الأثل، ويتواجد في مدينة بريدة وضواحيها إلا أنه يكثر في الأثل في حائل لذلك يأخذه أناس منها يتاجرون به، لأنه تدبغ به الجلود وهو أفضل أنواع الدباغ.

(23)فروش: جمع فرش وهو اللوح الذي يتكون من الملح المتماسك.

(24)الشقة: هي بلده من بلدان مدينة بريدة تقع إلى الشمال الغربي وتحدها من الغرب منطقة طينية يعلوها طبقة من الملح الطبيعي، وما زال يستخرج منها الملح الطبيعي ويباع في أسواق بريدة.

(25)الجمالين: هم فئة من العاملين يُطلق عليهم اسم "الحمّالة" أو "النقّالة"، كانوا يعتمدون في عملهم على الجِمال كوسيلة أساسية لنقل البضائع والمواد المختلفة، بما في ذلك الحطب والمؤن التجارية، من موقع إلى آخرى مقابل أجر محدد. في السابق قبل ظهور السيارات.

(26)الأرطى: هو نبات صحراوي ينموا في كثير من صحاري جزيرة العرب الرملية له أصول وفروع بيضاء وأطرافها الجديدة خضراء، وليس للأرطاة ورق وإنما له هدب طويل ناعم يستخدم هذا الهدب بعد تجفيفه في دباغة الجلود.

(27)الودتسه: هي مادة دهنية جامدة تستخرج من شحوم الحيوانات بعد ذبحها، حيث تجمع تلك الشحوم وتطهى في قدور كبيرة وتطهى فوق نار هادئة حتى تسيح الزيوت الكامنة فيها، ثم تصفى بعناية ويخزن الزيت الناتج في أوعية تقليدية، كالقِرَب الجلدية، أو الأواني الخشبية، أو المعدنية كالنحاسية والتنك، وذلك لحفظه واستخدامه لاحقًا في تليين الجلود وغيرها من الأغراض.

المبحث الثالث- أماكن ممارسة الدباغة

أوضح صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) أنه في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، كانت حرفة دباغة الجلود تمارس في مدينة بريدة منذ زمن مبكر، حيث خصص الحرفيون أجزاء من منازلهم كمراكن ومعامل للمعالجة. وكانت النساء من الجيران يشاركن في مراحلها الأولية، خاصة تنظيف الجلود من الشحوم وبقايا الشعر، لقاء أجر يومي أو وجبة طعام. وتشير مصادر محلية، كمشاهدات من بريدة للعبودي وعبق الماضي للعمران، إلى انتشار هذه الحرفة في عدة مواقع بالمدينة حتى عام (1979)، وهو العام الذي وثقه جامع ومقتني الأثار صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) بوصفه أن هذا التاريخ يعتبر هو نهاية عصر المدابغ التقليدية في بريدة. عليه يعد حصر مواقع هذه المعامل جزءًا أساسيًا في توثيق ذاكرة الحرفة، لذا يمكننا الان تعدد مواقع مزاولة حرفة الدباغة التي كان من أبرزها:

أولًا: مدبغة في حي العجيبة شرق مسجد بن شريدة

ذكر العبودي (2009) أن هناك مدبة تقع شرق شارع الصناعة، وتشير الروايات إلى أن سكان المسجد اشتكوا للقاضي عمر بن سليم، قاضي بريدة في الفترة بين (1932–1943) (آل الشيخ، 1972) من رائحة المدبغة، فاستفسر إن كانت المدبغة أقدم من المسجد، وحين أُبلغ أن المدبغة سابقة في الوجود، رد الدعوى (العبودي، 2019). وأوضح الشريدة (2018م) أن مسجد بن شريدة بني عام (1895)، ما يعني أن المدبغة تعود لأكثر من أربعين عامًا حينها. إحداثية الموقع على خرائط على قوقل ماب: (8XH9+4MV).

ثانياً: مدابغ في منازل حي العجيبة غرب شارع الصناعة

حسب المصادر الميدانية يوجد في هذا الموقع مدبغتين وتقع هذه المدابغ غرب مسجد الشريدة، وبحسب شكوى أحد الجيران أمام القاضي عبدالله بن حميد قاضي بريدة في الفترة بين (1944 – 1957) (أعضاء ملتقى الحديث، 2010)، رفض القاضي إغلاق المدبغة لسبق وجودها على البناء المجاور. ما يشير إلى أن هذه المدابغ موجود من زمن قبل بناء الجيران. إحداثية الموقع على خرائط على قوقل ماب: (8XH9+2G3) (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

ثالثاً: منطقة تجمّع لمدابغ على ضفاف مسيل العجيبة

ذكر عبدالعزيز (اتصال شخصي، أبريل 21، 2025) أن هناك عدد من المدابغ قد يتجاوز في مجمله العشر مدابغ في منطقة مسيل العجيبة، وهذه المدابغ ملحقة ببيوت الحرفيين على شكل أحواش مخصصة للدباغة، وتمتد هذه الأحواش من جنوب شرق مبنى مدرسة أحمد بن حنبل الابتدائية القديم الذي يمكن تحديد موقعه عبر الإحداثية التالية على خرائط على قوقل ماب: (QBMD8164)، منتشرة باتجاه الجنوب إلى حد السور الشمالي لمحطة تصريف المياه في حي الحويزة والذي يمكن تحديد موقعه عبر الإحداثية التالية على خرائط على قوقل ماب: (QBMB3585). وتشير المصادر الميدانية إلى أن هذه المنطقة عُرفت بهذه الصفة منذ أواخر القرن الثالث عشر وحتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث لم يعثر على أي توثيق لوجود مدابغ أنشئت في الأحياء الواقعة جنوب الجامع الكبير، أو جنوب منطقة الجردة، أو في الأحياء الشمالية، أو في أي موقع آخر داخل مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري. ومع ذلك، تشير المصادر الشفوية والميدانية إلى أن حرفة الدباغة بدأت في التراجع التدريجي مع بداية التسعينيات الهجرية، وتحديدًا منذ عام (1970)، حتى اندثرت تمامًا بحلول عام (1979)، حيث تخلى معظم ممتهنيها عن. وقد اتجه عدد من الدباغين إلى ممارسة حرفة الخرازة بدلًا منها (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025)، بينما تحوّلت غالبية الأحواش التي كانت تستخدم سابقًا كمعامل للدباغة إلى مواقع لتجميع جلود الأضاحي والحيوانات الأخرى، حيث تملح وتخزن تمهيدًا لبيعها من أبرز هذه المواقع التي ظهرت في أواخر القرن الرابع عشر الهجري مزاولتها: حي "خب الجطيلي" الواقع جنوب سوق الماشية، وحي "الناصرية" جنوب حي الخليج. ومن هناك، كانت الجلود تنقل إلى مدن داخل المملكة تحتوي على مدابغ حديثة، كما كانت تصدر إلى دول مثل سوريا، في إطار نشاط تجاري جديد بديل عن حرفة الدباغة التقليدية (عبدالله، اتصال شخصي، مارس 30، 2025).
السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو:

هل كان بعض عامة الناس في مدينة بريدة يمارسون حرفة الدباغة بشكل فردي، مستفيدين من جلود الحيوانات التي يذبحونها أو يصطادونها، وذلك في أماكن غير تلك المعروفة كمراكز للدباغة التقليدية؟

من خلال ما استقاه الباحث من الروايات الشفوية المتناقلة بين الآباء والأجداد، وما اطلع عليه من مقتنيات تراثية في مجالس القهوة والمتاحف الشخصية والعامة، تبين أن عددًا من أهالي بريدة كانوا يمارسون الدباغة بشكل فردي في نطاقهم الخاص، خارج مواقع المدابغ المعروفة. وقد اقتصرت هذه الممارسات غالبًا على أنواع بسيطة من الدباغة لا تتطلب مهارة مهنية عالية، وتنجز باستخدام أدوات متوفرة داخل المنازل أو في البيئة القريبة. وكان الهدف منها الاستفادة الذاتية من جلود الحيوانات التي تذبح أو تصاد، لا سيما في المناسبات أو المواسم،

وذلك لتحويلها إلى فرش، أو جواعد لمجالس القهوة، أو أغطية، أو مزاود، أو حبال جلدية تعرف محليًا بـ"القدود" و"السروح"، تستخدم في الربط والتعليق ضمن بيئة الحياة اليومية. ويعد هذا دليلاً على أن الحرفة لم تكن مقتصرة على الحرفيين فحسب، بل كانت جزءًا من الثقافة الحياتية العامة لسكان المدينة.

المبحث الرابع- الأدوات المستخدمة في الدباغة

من خلال المسح الميداني، ومراجعة المصادر والمراجع التي تناولت التاريخ التجاري والصناعي والعلمي لمدينة بريدة، تبين للباحث أن الأدوات التي استخدمها الحرفيون في حرفة الدباغة كانت أدوات بسيطة، في الغالب من البيئة المحيطة أو مما يتوافر في المنازل التقليدية آنذاك. وتظهر هذه البساطة قدرة الحرفيين على توظيف ما توفر لهم من خامات وأدوات محلية، بما يعكس مدى تكيّفهم مع الواقع البيئي والمعيشي. وبناءً على ذلك، يمكن ذكر الأدوات المستخدمة في هذه الحرفة دون التطرق للتصنيف الذي سيرد لاحقاً فالتصنيف سيكون إما حسب حجم الإنتاج المستهدف، سواء أكان على مستوى فردي محدود، أو على مستوى تجاري متوسط، أو ضمن إطار الإنتاج الواسع والكثيف، كما يلي:

القدور النحاسية "الحجري": كانت تستخدم القدور النحاسية لنقع الجلود بعد تنظيفها من اللحم والشحم من قبل الأشخاص والنساء الاتي يردن استخدام الجلد بشكل شخصي، وكذلك تستخدم القدور في إعداد الأصباغ والتمار والدباغ قبل نقع الجلود فيها (العمير، 2000).

الحفر الأرضية المطوية بالحجارة: كانت تستخدم هذه الحفر لنقع الجلود عدة مرات من أجل اعداداه لعملية التنظيف والدبغ، وتبطن أرضيات هذه الحفر بالحجارة لضمان النظافة والعزل، وغالبًا ما تغطى بأغطية محكمة لمنع التلوث والروائح (العمران، 2023). وكانت تعرف باسم "المدبغة" (العبودي، 1989).

السكاكين العادية والمعكوفة: تستخدم هذه السكاكين لكشط بقايا اللحم والشحم والصوف والشعر من الجلد بعد السلخ، وكانت السكاكين المعكوفة ذات فعالية أكبر في الوصول إلى التجاويف الدقيقة لسطح الجلد (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

المكاشط (المساحت) ذات المقبض أو المقبضين: أداة حديدية تستخدم لإزالة الشعر والشوائب من سطح الجلد، وتمتاز بعض الأنواع مناها بوجود مقبضين خشبيين لزيادة التحكم والثبات أثناء العمل (العمير، 2000).

الحجارة المسطحة والمفلطحة: تستخدم كقاعدة يوضع عليها الجلد أثناء عملية التنظيف أو لتصفية الماء الزائد من الجلد بوضع حجارة أخرى عليه لتثبيته ومنع تجعده (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

الحبال (أو الأربطة الجلدية): ذكرت العيدان (2011) أن الأربطة الجلدية تستخدم لشد الجلود وتثبيتها أثناء عملية التجفيف، أو لربطها بالإطارات الخشبية لتظل مفرودة دون انكماش عند عملية التنظيف.

الإطارات الخشبية المستطيلة أو المربعة: تصنع من خشب الأثل أو جذوع النخيل، وتستخدم لشد الجلود عليها بعد تنظيفها، مما يساعد في الحفاظ على استقامتها وتجفيفها بصورة متناسقة (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025)، والبعض يستعيض عنها بأوتاد خشبية تكون مثبتة على الحوائط (العيدان، 2011).

المقص الخاص بقص الجلود: أداة مخصصة ذات شفرات قوية وقصيرة، تستخدم لتشكيل الجلد بعد دباغته، أو لقطع الأجزاء غير المرغوب فيها أو لقطع سيور الجلد أو سيور الزخرفة والبعض يطلق عليه أسم "الجلم" (العمير، 2000).

تظهر هذه الأدوات البسيطة والمتوفرة محليًا الذكاء البيئي والاقتصادي للحرفيين في بريدة، إذ استطاعوا من خلالها تحويل الجلود الخام المتوفرة إلى منتجات قابلة للاستخدام والتجارة، باستخدام أدوات تقليدية تجسد العلاقة بين الحرفة والبيئة المحيطة بها. والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث هو:

هل كانت أدوات الدباغة تُستورد من خارج مدينة بريدة، أم كانت تصنع محليًا ضمن منظومة الحرف التقليدية في المدينة؟

نظرًا لما تمتعت به مدينة بريدة من نشاط حرفي وصناعي واسع النطاق، ولما كانت أدوات الدباغة تقليدية في جوهرها وبسيطة في تركيبها، فإن الغالبية العظمى منها كانت تصنع محليًا وتعاد صيانتها باستمرار على يد حرفيي النجارة والحدادة وقاطعي الحجارة الذين انتشروا في أسواق المدينة ومعاملها. ويعد هذا دليلاً واضحًا على وجود تكامل اقتصادي وحرفي داخلي، حيث شكلت هذه الحرف شبكة مترابطة أسهمت في دعم استدامة الإنتاج المحلي، وساعدت على تقليل الاعتماد على الأدوات المستوردة، مما يعكس حالة من الاندماج البنيوي بين مختلف التخصصات الحرفية في بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري.

المبحث الخامس- طرق وأساليب الدباغة

شهدت مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري تنوعًا في أساليب دباغة الجلود، تبعًا لحجم النشاط الحرفي وهدفه، وقد انقسمت هذه الأساليب إلى ثلاثة مستويات رئيسية:

أولاً: الأسلوب الفردي "الدباغة الشخصية"

هو أسلوب تقليدي بسيط مارسه أهالي مدينة بريدة، وخصوصًا النساء، داخل منازلهم، بهدف الاستفادة من جلود الحيوانات التي يذبحونها ويسلخونها بعناية بأنفسهم، مثل الأغنام، أو الأرانب، أو الضب. وكان الهدف من هذا الأسلوب هو الاستخدام الشخصي لا التجاري. وقد استخدم الأهالي في هذا الأسلوب القدور النحاسية لصناعة "التمار" وتخمير الجلود. ويتراوح قطر هذه القدور ما بين 50 و70 سم، وعمقها قرابة 40 سم. وتتم عملية الدباغة وفق مراحل معينة حسب كلام صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: تمليح الجلد، يوضع الملح داخل الجلد، ثم يطوى ويترك لمدة يوم وليلة أو أكثر، حسب نوع الجلد ودرجة حرارة الجو.

المرحلة الثانية: صناعة التمار، يتم غلي الماء مع التمر، ثم يترك الخليط حتى يبرد.

المرحلة الثالثة: نقع الجلد، توضع كمية كافية من التمار داخل الجلد من جهة الصوف أو الشعر أو الوبر، ويترك لمدة تتراوح بين خمسة أيام في الصيف وعشرة أيام في الشتاء.

المرحلة الرابعة: التحريك اليومي، يضاف الماء يوميًا داخل الجلد ويحرك جيدًا بهدف تمتينه وتسهيل إزالة الشعر أو الصوف أو الوبر لاحقًا.

المرحلة الخامسة: تنظيف الجلد، ينقل الجلد إلى مكان رملي، ويوضع فوق حجر، ويثبت بالأيدي أو الأوتاد الخشبية أو السيور الجلدية، ثم يكشط الشحم واللحم والصوف أو الشعر أو الوبر بواسطة سكين خاصة. بعدها يدعك بالرمل حتى يصبح نظيفًا ناعم الملمس.

ملاحظة: إذا كان الهدف استخدام الجلد كـ"جاعد" (بساط)، فإن التمار يوضع داخل الجلد فقط لتنظيفه من الشحم واللحم دون إزالة الصوف أو الشعر أو الوبر (العبودي، 2019).

المرحلة السادسة: غسل الجلد، يغسل الجلد بالماء عدة مرات حتى تزول رائحته.

المرحلة السابعة: ضغط الجلد، يعاد تمليحه ويوضع فوقه حجر بهدف إخراج الماء منه.

المرحلة الثامنة: تحضير الدباغ، تدق وتطحن أغصان الأرطى، ثم تنقع في الماء وتغلى، وتترك حتى تبرد.

المرحلة التاسعة: نقع الجلد بالدباغ، يغمس الجلد في الخليط لمدة يومين أو أكثر، حسب حاجته لامتصاص الدباغ واكتساب اللون والمرونة.

المرحلة العاشرة: اختبار الجلد، يفرك الجلد باليد، فإذا أصبح طريًا ذو لون موحد، يكون جاهزًا، وإن لم يكن كذلك، يعاد للدباغ مرة أخرى.

المرحلة الحادية عشرة: تجفيف الجلد وتليينه، يفرد الجلد على سطح مستوٍ حتى يجف تمامًا، وفي هذه الأثناء يدهن عدة مرات بالزيوت الحيوانية (الودتس) من الداخل والخارج حتى يلين.

المرحلة الثانية عشرة: صباغة الجلد، يصبغ الجلد حسب الحاجة بأحد الألوان النباتية الطبيعية مثل قشور الرمان، أو العصفر، أو القرمز، أو الزعفران، أو قشور البصل وغيرها، ليكون بعد ذلك جاهزًا للاستخدام (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

ثانياً: الأسلوب التجاري المتوسط "حفرة واحدة"

يمثل هذا الأسلوب نمطًا اقتصاديًا تقليديًا متوسطًا، مارسه عدد من أهالي مدينة بريدة – رجالًا ونساءً – داخل منازلهم أو في أحواشهم الخاصة. يزاول غالبًا من قبل دباغين متفرغين، أو ممن يتخذونه مصدر دخل دائم أو موسمي، ويستلزم أحيانًا الاستعانة بأيدٍ عاملة نسائية إضافية، بأجر يومي أو مقابل وجبات طعام، للمساعدة في تنظيف الجلود وكشط الشعر والشحم واللحم العالق بها. ويستخدم لهذا الأسلوب حفرة مستطيلة الشكل، بعرض يقارب مترًا ونصف، وطول ثلاثة أمتار، وعمق نحو متر ونصف. وتبطن هذه الحفرة بفروش من الحجارة تثبت بالطين أو الجص، لتمنع تسرب السوائل، وتغطى عند الحاجة بأغطية محكمة (العمران، 2023). ووفق للعمران (2023) وصالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) فإن عملية الدباغة تنفذ وفق المراحل التالية:

المرحلة الأولى: يملح الجلد ويطوى ليوم وليلة أو أكثر، تبعًا لطبيعة الجلد وحرارة الجو وحسب الجاهزية لبدء عملية الدباغة فالغرض من التمليح تخزين الجلود دون أن تتعفن.

المرحلة الثانية: يجهز "التمار" (مزيج الماء والتمر المغلي)، ويصب في الحفرة، ثم تصف الجلود فوق بعضها البعض داخلها.

المرحلة الثالثة: ترش كميات إضافية من التمار بين طبقات الجلود، وتغطى الحفرة، وتترك لمدة تتراوح بين عشرة أيام في الصيف إلى خمسة عشر يومًا في الشتاء.

المرحلة الرابعة: تفتح الحفرة تدريجيًا، مع إضافة الماء بشكل شبه يومي، لتخفيف الرائحة الكريهة وتقليل أثرها على المجاورين.

المرحلة الخامسة: تسحب الجلود من الحفرة، وتوضع على حجارة مسطحة أو مفلطحة، ثم تثبت بالأيدي أو الأوتاد الخشبية والسيور الجلدية، وتكشط باستخدام سكاكين خاصة لإزالة الشحم واللحم والصوف أو الشعر أو الوبر، ثم تدعك بالرمل حتى تصبح ناعمة الملمس.

ملاحظة: إذا كان الهدف من الجلد هو استخدامه كفرش أو "جاعد"، يضاف التمار داخل الجلد فقط لتنظيفه من الداخل، دون إزالة الشعر أو الصوف أو الوبر.

المرحلة السادسة: تغسل الجلود عدة مرات حتى تزول الرائحة، ثم يعاد تمليحها وتضغط بالحجارة لإخراج الماء منها.

المرحلة السابعة: يجهز "الدباغ" عبر طحن أغصان الأرطى، ثم تنقع وتغلى وتترك حتى تبرد، ويضاف السائل الناتج إلى الحفرة.

المرحلة الثامنة: تغمس الجلود داخل خليط الدباغ لمدة يومين أو أكثر حتى تكتسب اللون والمرونة.

المرحلة التاسعة: يختبر الجلد يدويًا، فإذا بدا طريًا ولينًا وذو لون موحد، يعد جاهزًا، وإن لم يكن كذلك، يعاد غمسه بالدباغ.

المرحلة العاشرة: يسطح الجلد ويفرد حتى يجف، ثم يدهن مرارًا بالزيوت الحيوانية (الودتس) من الداخل والخارج لتليينه.

المرحلة الحادية عشرة: يصبغ الجلد حسب الحاجة باستخدام أصباغ طبيعية مثل قشور الرمان، العصفر، القرمز، الزعفران، أو قشور البصل، ليصبح جاهزًا للاستخدام أو البيع.

ثالثاً: الأسلوب التجاري الضخم "ثلاث حفر متتابعة"

يمثل هذا الأسلوب مرحلة صناعية متقدمة نسبيًا في ممارسات الدباغة بمدينة بريدة، ويعد نشاطًا اقتصاديًا منظمًا اعتمده كبار الدباغين ممن يمتلكون أحواشًا خاصة ومعامل شبه دائمة. استهدف هذا الأسلوب إنتاج كميات كبيرة من الجلود، لتلبية طلب الأسواق المحلية أو تصديرها للحرفيين الصناع كصناع الأحذية الجلدية (الخرازين) أو الأوعية الجلدية. اتسم هذا النموذج بالدقة والتخصص، وكان يتطلب تفرغًا كاملًا من القائمين عليه، مع تشغيل عدد كبير من العاملات المأجورات للقيام بمهام النظافة والكشط والغسيل، خاصة في مواسم الذبح مثل عيد الأضحى. وكانت الجلود تجمع من السكان المحليين أو تشترى من جامعي الجلود، ويستخدم في هذا الأسلوب ثلاث حفر حجرية دائرية، قطر كل منها نحو 1.5 متر، وبعمق يتراوح بين متر ومتر ونصف، تبطن بالحجارة المصفوفة من كل جانب وتعزل بالطين أو الجص بما يسمى "الملاط"[28] لمنع تسرب السوائل. تنفذ عملية الدباغة بناءً على الحديث مع الأخ صالح إبراهيم (اتصال شخصي، مارس 23، 2025) بهذا الأسلوب وفق المراحل التالية:

المرحلة الأولى: تملح الجلود فور ذبح الحيوانات، وتخزن في أماكن جافة داخل الأحواش حتى يحين وقت البدء في عملية الدباغة.

المرحلة الثانية: تملأ الحفرة الأولى بالماء والملح، وتغمر الجلود فيها لمدة تتراوح بين يومين إلى خمسة أيام لتليينها. بعد ذلك تزال وتنظف من الشحوم واللحوم العالقة.

المرحلة الثالثة: يحضر "التمار" (مغلي التمر)، ويسكب في الحفرة الثانية، ثم تصف الجلود فيها مع وضع طبقات من التمار بينها، وتغطى الحفرة. تترك لمدة تتراوح بين عشرة إلى خمسة عشر يومًا، وقد تصل إلى شهر، بحسب تراكم الجلود ونوعيتها.

المرحلة الرابعة: تفتح الحفرة تدريجيًا ويضاف إليها الماء بشكل شبه يومي لتخفيف الروائح الكريهة التي يتأذى منها الدباغون والجيران والمارة.

المرحلة الخامسة: تخرج الجلود وتوضع على حجارة مسطحة ومفلطحة، وتثبت باستخدام أوتاد أو إطارات "عوارض" خشبية لشد الجلود باستخدام سيور جلدية، ثم تكشط يدويًا باستخدام سكاكين مخصصة، لإزالة الشعر والوبر والشحوم. يدعك الجلد بعدها بالرمل حتى يصبح ناعم الملمس.

ملاحظة: إذا كان الهدف استخدام الجلد كـ "جاعد" أو فرش، تدبغ الجهة الداخلية فقط دون إزالة الصوف أو الشعر.

المرحلة السادسة: تغسل الجلود جيدًا بالماء لإزالة الرائحة، ثم تملح مرة أخرى وتضغط بالحجارة لتصريف الماء.

المرحلة السابعة: يحضر خليط الدباغ عن طريق دق الأرطى أو الكرمع وغليها، ثم يترك حتى يبرد، ويسكب في الحفرة الثالثة.

المرحلة الثامنة: تغمس الجلود في الحفرة الثالثة، وتترك ما بين يومين إلى خمسة أيام حسب نوعية الجلد، حتى تكتسب اللون والمرونة.

المرحلة التاسعة: يجرى اختبار بسيط بفرك الجلد باليد. فإذا كان لينًا ومتجانس اللون، يعد جاهزًا، وإذا لم يكن كذلك يُعاد إلى الحفرة مرة أخرى.

(28)هو عملية تغطية الجدران والأسقف بطبقة من المونة (عادةً ما تكون خليط من الطين أو الجبس) لتسوية الجدران والأرضيات أثناء التشطيبات النهائية، بهدف توفير سطح مستوٍ وأملس، ومنع تسرب الماء خارج الحفرة.

المرحلة العاشرة: يفرد الجلد حتى يجف، وخلال ذلك يدهن مرارًا بالودتس (الزيوت الحيوانية) من الداخل والخارج حتى يكتسب ليونة عالية.

المرحلة الحادية عشرة: تصبغ الجلود بحسب الحاجة باستخدام أصباغ طبيعية نباتية مثل قشور الرمان، الزعفران، العصفر، القرمز، أو قشور البصل، ثم تجفف وتعد للبيع أو الاستخدام.

ملاحظة مهمة: قد تستغرق عملية الدباغة الكاملة وفق هذا الأسلوب من عدة أيام قليلة (العمير، 2000)، وتصل أحياناً إلى ستة أشهر، تبعًا لفصل السنة، ودرجة الحرارة، ونوع الجلود المدبوغة. فجلود الأغنام والغزلان أسرع معالجة من جلود الإبل والبقر والخيول بسبب سماكتها وصعوبة تنظيفها (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

المبحث السادس- منتجات الدباغة

تعد حرفة الدباغة في مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري من الحرف الأساسية التي أسهمت في تشكيل البنية الاقتصادية والصناعية للمدينة، ليس فقط بصفتها حرفة مستقلة، بل باعتبارها رافدًا مهمًا للعديد من الصناعات والحرف الأخرى. فقد كانت الجلود المدبوغة تمثّل خامة أولية رئيسة تدخل في صناعات واسعة النطاق كصناعة الأحذية والأحزمة والأوعية الجلدية، كما كانت بعض المنتجات الجلدية تُستخدم مباشرة بعد الدباغة دون الحاجة إلى مزيد من التشطيب، وهو ما يعكس التنوّع والمرونة في توظيف هذه المادة الحيوية. ويؤكد الرحالة البريطاني هاري سانت جون فيلبي في زيارته لمدينة بريدة عام (1918)، على هذا الترابط الوثيق بين الحرفة والمنتج، مشيرًا إلى أن صناعات بريدة كانت ترتكز بدرجة كبيرة على الجلود، من خلال انتشار دكاكين ومحال الإسكافيين والخرازين ومصنّعي المنتجات الجلدية (فيلبي، 2007). كما تفيد المصادر الميدانية بأن مدبغة واحدة في بريدة كانت تُنتج ما بين 2500 إلى 3000 جلد سنويًا للاستخدام (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025)، وهو رقم بالتأكيد يرتبط مباشرة بعدد من الظروف الاقتصادية والمناخية التي تمر بها البلاد، الا أن سليمان محمد (اتصال شخصي، مارس 30، 2025) و عبدالعزيز (اتصال شخصي، أبريل 21، 2025) أكدى أنه كان هناك عدد من المدابغ في حي العجيبة التي كان ينشط عملها أثناء موسم عيد الأضحية. وإذا ما اعتبر أن المدينة كانت تحوي أكثر من عشر مدابغ خلال القرن الرابع عشر الهجري، فإن العدد الإجمالي للجلود المدبوغة سنويًا يُقدّر بما يتراوح بين 25000 و30000 جلد، وهو ما يعكس نشاطًا اقتصاديًا كثيفًا وحاجة مجتمعية عالية لهذا المنتج. وبناءً على ذلك، يمكن تقسيم منتجات الدباغة في بريدة إلى قسمين رئيسيين:

أولًا: منتجات جلدية جاهزة للاستخدام

وهي تلك المنتجات التي لا تحتاج إلى عمليات تشطيب أو تصنيع لاحقة، إذ يمكن للمستفيد النهائي استخدامها مباشرة بعد اكتمال عملية الدباغة. ومن أبرزها:

الفراء (الجواعد): وهي جلود الغنم أو الضأن التي تترك بشعرها بعد دباغتها، وتستخدم كفرش في المجالس وأجلة للشدود، أو كأغطية في فصل الشتاء، لما تتميز به من خصائص حفظ الحرارة والعزل الطبيعي. أنظر ملحق رقم (1)، (صور3-8).

القدود: سيور جلدية طويلة تقص عادة من جلود رقاب الإبل أو البقر بعد دباغتها، وتستخدم في ربط الأجزاء الخشبية، أو في الأحزمة الجلدية، أو في وصل أجزاء متعددة ضمن الاستخدامات الزراعية أو المنزلية. وقيل إنه في زمن المجاعة كان الناس من أهالي بريدة يشوون القدود ويأكلونها من شدة الجوع كسنة الجوع التي كانت عام (1909)، ولذا يقال إن نجد سميت أم القد (العمران، 2023).

النطوع: وهي الجلود المدبوغة التي يزال عنها الشعر أو الصوف أو الوبر، وتستخدم بعد غسلها وتجفيفها كفرش أرضي في المنازل أو كمقاعد بديلة عن الحصير، وقد تكون ممهدة أو تستخدم في المساجد والمجالس الشعبية (العيدان، 2011).

القربة: هي الوعاء الجلدي الذي يستخدم لنقل وحفظ الماء وتبريده وهي على احجام حسب حجم وعمر حيوان الماشية -الضأن او الماعز- الذي تسلخ منه (ابن جنيدل، 2007). ذكر حمد (اتصال شخصي، يونيو 13، 2025) أنه عادة تكون سعت القرب بالمتوسط ما بين 10لتر إلى 20 لتر، وطريقة تجهزيها أنه بعد سلخ الحيوان بعناية بهدف اخذ الجلد كقربة ودباغته. تخرز جميع قوائم الجلد كل على حده وتغلق ايضًا الجهة السفلية بسيور جلدية، اما الرقبة فتترك لكي تكون المنفذ الوحيد للتعبئة والتفريغ وتربط بسير من جلدي من القوائم يسمى الوجاء تعلق بالمحجان[29] على قنارة[30] من خلال ربطها باستخدام السيور الجلدية. استخدمها أهالي بريدة في حلهم وترحالهم لحفظ ونقل الماء خلال القرن الرابع عشر الهجري.

(29) المحجان: هو وتد خشبي يصنع من خشب الأثل على شكل شنكار يربط أحد أطرافه بالسقف والطرف الثاني بالقربة.

(30) القنارة: هي عبارة عن ثلاث عصي خشبية من خشب الأثل تتراوح أطولها من متر ونصف إلى مترين وتربط بحبل جلدية أو من الصوف متخالفة من أعلاها وتفرج من أسفلها، توضع بشكل عمودي ويعلق فيها صميل اللبن أو قربة الماء.

جاء ذكر القربياً في كثير من الوصايا الوقفية لأهالي بريدة بحيث يسبل[31] المتوفي عدد من القرب تستخدم في نقل الماء الصالحة للشرب وتعليقها في مكان معين ليشرب منها الناس بالمجان، وكانت هذه المياه تأخذ من آبار معروفة مثل بئر العزيزة أو الغاف وموقعها الان غرب ثلاجة المنجم في حي البصيرية وبئر التغيرة وموقعها الان تقريباً مكان أسواق الوشاح الحالية وبئر الصقعاء وموقعها الحالي شرق ساحة الجردة شارع الخبيب (العبودي، 2019).

السقا: ذكر ابن جنيدل (2007) أن القربة هي وعاء جلدي كانت تستخدم لخض الحليب من أجل تحويله إلى لبن في نجد، ولكن تستخدم مقلوبة بحيث يكون منبت الشعر الاملس إلى الداخل مما يسهل عملية تنظيفها، وعادة تكون سعته ما بين 10لتر إلى 15 لتر (حمد، اتصال شخصي، يونيو 13، 2025).

الصميل: ويذكر الوشمي (2009) أن الصميل وعاء جلدي من نوع القرب والسقاء، ولكنه يتميز بصغر الحجم، يتم فرز جلود صغار الماعز والضأن لكي تستخدم كصملان لحفظ اللبن، وعادة تكون سعته ما بين 5لتر إلى 10لتر (حمد، اتصال شخصي، يونيو 13، 2025).

العكه: وعاء جلدي من نوع القرب والسقاء، لكنها عادة تصنع من جلد الضب أو جلد الأرنب أو جلود صغار الماشية، وعادة تكون سعتها ما بين 2لتر إلى 5 لتر (عبدالله، اتصال شخصي، مارس 30، 2025). يتميز هذا النوع من القرب بأنه صغير الحجم، ومنبت الشعر يكون للداخل أملس ويستخدم للحفظ السمن والدهن. وللتميز بين هذه الأنواع أنظر إلى ملحق رقم (1)، (صور3-8) وفق جلسة في متحف الدبيخي مع سليمان علي (اتصال شخصي، أبريل 13، 2025).

ثانيًا: منتجات جلدية غير جاهزة للاستخدام

هي الجلود المدبوغة التي تم إعدادها كمادة خام، لكنها تحتاج إلى تشطيب أو تصنيع يدوي لاحق لتصبح منتجًا نهائيًا. ومن أهمها:

القرب: هي الجلود المدبوغة، وعادة تأخذ شكل الحيوان الذي سلخت منه، ولكن لا يمكن استخدمها مباشرة بعد الدباغة لأنها تحتاج إلى تشطيب نهائي وتقفيل بعض الخروق والأطراف المفتوحة الخاصة بأقدام الحيوان من قبل الخراز أو صانع الأوعية الجلدية.

الحوري: جلد رقيق ناتج عن دباغة جلود الغنم، ويستخدم عادة في صناعة الألبسة الجلدية الخفيفة أو المحافظ وبعض الزينة الجلدية.

الأديم: يقصد به الجلد الرقيق المدبوغ المستخرج غالبًا من جلود الضأن أو الماعز، ويعد من أجود أنواع الجلود، وكان يستخدم في صناعة أغلفة المصاحف والمخطوطات، وفي صناعة النعال التقليدية.

السبت: وهو جلد البقر بعد دباغته، ويتميز بسماكته المتوسطة وليونته النسبية، ويستخدم في صناعة الحقائب وأغلفة الأسلحة وبعض الأثاث التقليدي.

الشن: وهو جلد الإبل بعد دباغته، ويتميز بسماكته وقوته ومتانته، لذا يستخدم في صناعة الراوية (لحفظ الماء) أو الأغطية القوية أو دعسات الأحذية. أنظر إلى ملحق رقم (1)، (صور3-8) (صالح إبراهيم، اتصال شخصي، مارس 23، 2025).

وذكرت العيدان (2011) أن من المنتجات الثانوية التي يحصل عليها الدباغون أثناء عملية دباغة الجلود: الشعر الذي يزال من جلود الماعز، والصوف من جلود الضأن، والوبر من جلود الإبل، بالإضافة إلى الشَعر الخشن الذي يزال من جلود الأبقار. تعد هذه المواد من الخامات الأولية المهمة التي كانت تجمع وتباع لتستخدم في صناعات أخرى، كحياكة بعض الفرض والخيام والأشرعة وتستخدم لحشو الوسائد والمراتب.

الخاتمة

خاتمة هذا البحث تتويجًا لما توصل إليه الباحث من معلومات دقيقة وتحليل أكاديمي لحرفة دباغة الجلود في مدينة بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري. وقد سلطت الخاتمة الضوء على البعد المكاني والاقتصادي والإنساني الذي أحاط بهذه الحرفة، بما في ذلك الأسواق والممارسات التجارية والأسعار. كما أبرزت ما لم توثقه المقابلات من مشاعر وجدانية وتجارب نفسية، تمثل جزءًا من التراث غير المادي الجدير بالاهتمام في دراسات مستقبلية وهي كالتالي:

1- لم تكن حرفة دباغة الجلود في مدينة بريدة مقتصرة على مواقع المدابغ فقط، بل وجدت أسواق مخصصة لتبادل الجلود تجاريًا بعد دباغتها، من أبرزها سوق الجلود، الذي كان يقع ملاصقًا لسوق العلف، متفرعًا عنه غربًا. ويحدد الموقع بدقة جنوب الجامع الكبير (جامع خادم الحرمين الشريفين حاليًا)، بين المجلس[32]، وطريق الملك فيصل (العمران، 2023).

(31)يسبل: من سبيل أي وقف ويسبل القربة أي يجعلها وقف لله في حياته أو بعد مماته وكان الناس في بريدة يوقفون أو يسبلون القرب لكي تملأ بالماء وتوضع في مكان عام أو المساجد ليشرب منها عامة الناس.

(32)المجلس: قيل إنه أطلق عليه في فترة من الفترات أسم السوق السلطاني وأيضاً سوق القشلة.

2- لم يقتصر تداول الجلود على هذا السوق، إذ كانت تدبغ بعض الجلود بشكل فردي لدى نساء في أحياء بريدة وضواحيها مثل الحويزة، والعكيرشة، والغاف. كما كان بعض الدباغين يبيعون الجلود من مقارهم مباشرةً أو عبر أسواق أخرى كالمجلس والسوق الشمالي شمال الجامع الكبير (العمران، 2023).

3- تراوحت أسعار خدمة الدباغة خلال فترة الدراسة ما بين 10 إلى 20 ريالًا، بينما بلغ سعر الجلود المدبوغة بين 50 إلى 150 ريالًا، بحسب نوع الجلد وجودته وحجمه. ويُعزى هذا التفاوت إلى الأوضاع الاقتصادية المتقلبة التي شهدتها بريدة خلال القرن الرابع عشر الهجري. انظر ملحق رقم 1 (صور 9-14)، والتي تشمل صورًا لدفتر أحد الدباغين لتوثيق الأعمال وأسماء الزبائن وبعض المنتجات.

4- من النتائج الجديرة بالاهتمام أن هناك أبعادًا إنسانية لم تكن قابلة للتوثيق المباشر عبر المقابلات، مثل المشاعر الداخلية المرتبطة بالحرفة، كالفخر، والتثبيط، والانتماء، أو الإحباط الناتج عن قلة الطلب، أو مشاعر الخوف عند نقل الحرفة إلى الجيل التالي وسط متغيرات اقتصادية متسارعة.

5- لم توثق تجارب وجدانية مهمة، مثل إحساس الحرفي عند إنجاز قطعة نادرة بعد جهد شاق، أو فقدان مصدر رزقه. هذا الغياب يبرز الحاجة إلى اعتماد مناهج بحثية مستقبلية تُعنى باستكشاف البعد النفسي والوجداني للحرفيين، كجزء من التراث غير المادي الذي لا يُصان فقط بالأدوات، بل بالذاكرة والشعور الجمعي.

6- مرت مدينة بريدة خلال فترة الدراسة بأزمات اقتصادية كبرى، أبرزها سنة الجوع (1909) (ابن مانع، 1981)، لكنها عرفت لاحقًا فترات رخاء نسبي، بدأت مؤشراته عام (1956)، وبلغت ذروتها في أوائل التسعينات الهجرية (1970)، واستمرت حتى نهاية فترة الدراسة (الوشمي، 2009).

7- تمثل حرفة دباغة الجلود في مجملها صناعة تقليدية متجذرة في البنية الاقتصادية والاجتماعية لمدينة بريدة، حيث ساهمت في تلبية احتياجات المجتمع المحلي، ودعمت صناعات تقليدية مرافقة كصناعة الأحذية، والمستلزمات المنزلية، وأدوات الزينة والحفظ، مما يمنحها بعدًا مركزيًا في التراث الحِرفي للمنطقة.

8- اندثرت حرفة الدباغة التقليدية في مدينة بريدة بشكل نهائي مع نهاية عام (1979)، وذلك نتيجة عدة عوامل متداخلة، من أبرزها: الطفرة الاقتصادية التي شهدتها المملكة، مما دفع العديد من الحرفيين إلى ترك الدباغة والاتجاه نحو حرفة الخرازة، التي كانت تتطلب جهدًا أقل وتمنح مكانة اجتماعية أعلى.

قائمة المراجع

- ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (1982)، "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ط4، ج1، الرياض.
- بلجريف، وليم جيفور، (2001م)، "وسط الجزيرة العربية وشرقها 1862-1863م"، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى الثقافي، القاهرة.
- الجرجاني، علي بن محمد، (1983)، "كتاب التعريفات"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (2007)، "معجم التراث: الأطعمة وآنيتها"، الكتاب الرابع، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- حسونة، محمد أحمد، (1960م)، "أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية"، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- الربدي، محمد بن صالح العبدالله، (2001)، "بريدة: دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية"، ط3، المكتبة التراثية، الرياض، ج1.
- الربدي، محمد بن صالح العبدالله، (2001)، "بريدة ونموها الحضاري وعلاقاتها الإقليمية"، ط3، المكتبة التراثية، الرياض، ج2.
- رضا، أحمد، (1957)، "معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة"، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الرواف، خليل إبراهيم، (2013م)، "صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث"، ط1، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت.
- الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى، (1889)، "تاج العروس من جواهر القاموس"، ط1، المطبعة الخيرية، مصر.
- السكاكر، محمد بن علي، (2008)، "إمارة حجيلان بن حمد في بريدة (1194-1234هـ)"، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية الحادي عشر، القصيم/بريدة.
- السلمان، محمد، (1987)، "الأحوال الاقتصادية في القصيم في الدولة السعودية الثانية"، ط1، عنيزة.
- الشريدة، منصور، (10-8-2018)، "مقابلة في مسجد الشريدة بعنوان: مسجد الشريدة بمدينة بريدة أسس عام 1313هـ"، موقع اليوتيوب، على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=jmnrPqcDCPw&t=4s
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، (1972)، "مشاهير علماء نجد وغيرهم"، ط1، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.
- آل عبد المحسن، إبراهيم بن عبيد، (2007)، "تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان"، ط1، مكتبة الرشد، المكتبة الشاملة، الرياض، ج7.

- العبودي، محمد بن ناصر، (2009)، "مشاهدات من بريدة قبل خمس وسبعين سنة – ذكريات كتبت في عام 1425هـ"، الرياض.
- العبودي، محمد ناصر، (2019)، "معجم أسر بريدة: قسم الأنساب"، دار الثلوثية، (1431هـ)، الرياض، المكتبة الشاملة.
- العبودي، محمد بن ناصر، (1989)، "معجم بلاد القصيم"، ط2، بدون دار ومكان.
- أعضاء ملتقى الحديث، (2010)، "المعجم الجامع في تراجم المعاصرين"، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء، المكتبة الشاملة.
- العمران، عبدالله بن سليمان، (2023)، "عبق الماضي أصالة الحاضر"، بدون دار ومكان.
- العمري، عبدالعزيز بن إبراهيم، (2000)، "الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صل الله عليه وسلم"، ط3، دار اشبيليا، الرياض.
- العيدان، سهير بنت محمد، (2011)، "المصنوعات الجلدية في منطقة القصيم"، رسالة ماجستير مطبوعة، جامعة الملك سعود - كلية السياحة – قسم الآثار – سلسلة رسائل جامعية تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض.
- العمير، عبدالله بن إبراهيم، (2000)، "عدد ومستلزمات الحرفيين الشعبيين في المملكة العربية السعودية"، مؤتمر: "المؤثرات الشعبية العربية في مائة عام"، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة.
- ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (1998)، "عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر"، صدر بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض.
- فيلبي، هاري سانت جون، (2007)، "جزيرة العرب الوهابين"، ط1، ترجمة: يوسف مختر الأمين، مراجعة وتقديم: غيثان علي جريس، العبيكان، الرياض.
- لوريمر، قوردن، (2012م)، "دليل الخليج: القسم الجغرافي"، ج5، طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، قطر.
- بن مانع، الشيخ محمد عبدالعزيز، (1981)، "مذكرات تاريخية من عام 1238هـ إلى عام 1384هـ"، نشرها الشيخ: حمد الجاسر، مجلة العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.
- المرشود، صالح بن سعد، (22-12-2011)، "ثقافي/أسواق بريدة القديمة تحاكي ماضيها من خلال المهن والصناعات اليدوية / إضافة أولى"، وكالة الأنباء السعودية، مقابلة، عدد يوم الخميس، تمت زيارة الصفحة الساعة 11م من يوم السبت (22-3-2025)، على الرابط التالي: https://www.spa.gov.sa/955008
- المسلم، إبراهيم، (1988)، "القصيم والتطور الحضاري"، بدون دار ومكان.
- المسلم، إبراهيم، (1989)، "العقيلات"، ط2، مكتبة العقيلات"، الرياض.
- المعارك، إبراهيم بن عبدالعزيز، (1999)، "الرياض والقصيم والتطور خلال مائة عام من التكوين دراسة بالأرقام 1319-1419هـ"، ط1، مؤسسة روابي وهطان، الرياض.
- المعارك، إبراهيم بن عبدالعزيز، (2005)، عقيلات بريدة رجولة وشموخ، ط1، (بدون دار ومكان).
- الموصلي، حامد إبراهيم، (2004م)، "الصناعات التقليدية ودورها في التنمية الذاتية للمجتمعات الإسلامية"، جمعية المسلم المعاصر، ج29، ع112، مكة.
- النقيدان، سليمان بن محمد، (1995)، "من شعراء بريدة"، ج2، بدون دار ومكان.
- النقيدان، موسى، (2012م)، "مسافات في ذاكرة رجل من بريدة"، دار مدارك للنشر، دبي.
- الهبدان، عثمان بن علي، (1-12-2021م)، "مقابلة بعنوان: سوق داحس"، إدارة عبدالملك البريدي مدير دار النفائس والمخطوطات ببريدة في اليوتيوب، اليوتيوب، على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=KmEhzFwW1gs
- الهويمل، حسن بن فهد، (1988)، "هذه بلادنا 2: بريدة"، ط2، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.
- الوشمي، أحمد بن مساعد بن عبدالله، (2009)، "الحرف والصناعات التقليدية في المملكة العربية السعودية"، ط2، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.
- الوشمي، صالح بن سليمان & الهويمل، حسن بن فهد، (1976)، "لمحات عن منطقة القصيم"، بدون دار ومكان.
- الوهيبي، عبداللطيف بن صالح بن محمد، (2015)، "العقيلات: مآثر الآباء والأجداد على ظهور الإبل والجياد"، ج1، ط1، العبيكان، الرياض.
- اليحيى، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، (6-6-2021)، "مقابلة بعنوان: أسواق بريده القديمة والجامع الكبير - الجزء الثاني"، إدارة عبدالملك البريدي مدير دار النفائس والمخطوطات ببريدة في اليوتيوب، على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=kz4-ytzATq8

الملاحق:

ملحق رقم -1

بندقية موسورة بجلد أرنب – صورة-1

بندقية موسورة بجلد أرنب – صورة-2

أحذية جلدية - صورة-2

ميزب - صورة-3

العيبة - صورة-4

الغرب- صورة-5

الخرج- صورة-6

أنواع من القرب (صميل-عكة-سقا) - صورة-7

صور لمنتجات جلدية وخامات-8

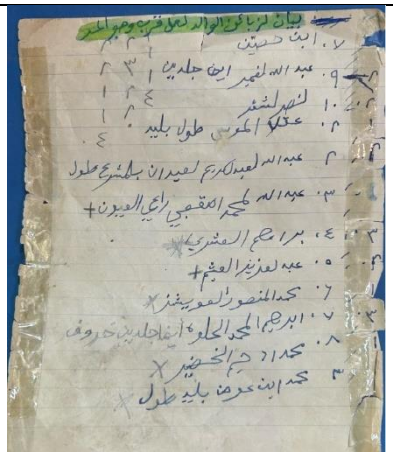

صورة -9

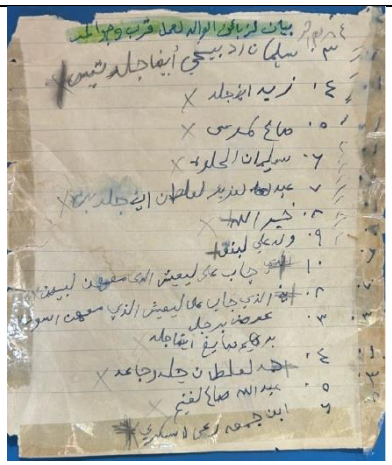

صورة-10

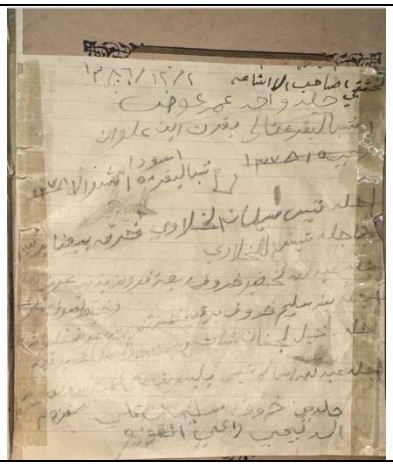

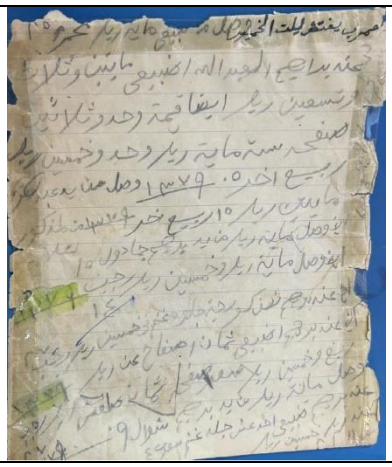

صورة-12	صورة-11
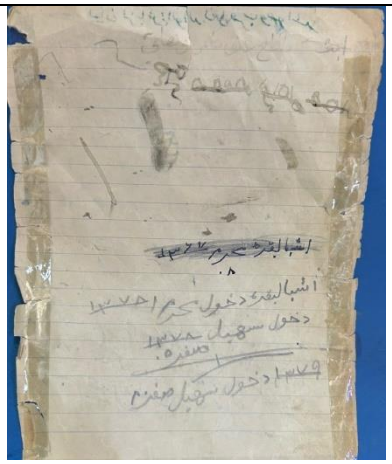	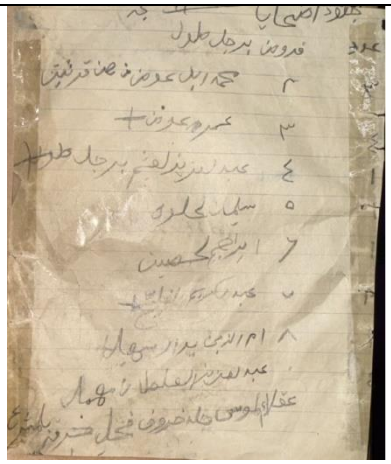
صورة-14	صورة-13